

الشيخ عبد المحمد كشك

خَيْرَ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ

يَوْمَ الْجُمُعَةِ

دار البشير
القاهرة

حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار البشير - القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٤٥ طريق المعادي الزراعي من ب. ١٦٩ المعادي ٥. ٢١٨٧٣٦٨

مقدمة الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله ، جاعلاً بكتاب كالشمس في ضحاها ، وبسنة كالقمر إذا تلاها ، فمَن تبعهما عاش في ضوء النهار إذا جلاها ، ومَن أعرض عنهما تخبط في ظلمة الليل إذا يغشاها . صلى الله عليك يا علم الهدى ما هبت النسيم وما ناحت على الأيك الحمام .

أما بعد ..

فقد أقام الله دينه الحنيف على دعائم مستظل ثلثة تناطح الجوزاء وتزاحم الشمس في الجلاء ، مهما اختلف المَلَوَانِ وتعاقب الجديان ، وتلك الدعائم هي القرآن والسنة والجمعة ورمضان وعرفات والبيت الحرام . ولن يستطيع أحد أن ينال من الإسلام وتلك الرواسي الشامخات والأعلام الشاهقات تمتد إلى عنان السماء .

وهذا الكتاب بحثنا عن خير يوم طلعت فيه الشمس وهو يوم الجمعة ، حيث يتوجه فيه المسلمون إلى بيوت الله دون أن توزع عليهم تذكر دعوة أو يؤمهم أحد بتوزيع المكافآت ، إنما يتوجهون استجابة لنداء الواحد الديان : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعْتُمْ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ نَلَّكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

(الجمعة : ١)

قال رسول الله ﷺ :

« لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَيُطَهِّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ ، وَيَذَعِنُ مِنْ ذَهَبِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبٍ بَيْتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كَتَبَ لَهُ ، ثُمَّ يَتَصَبَّأُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى » .

(أخرجه البخاري في صحيحه عن سلمان الفارسي)

وإذا رأيت المسلمين في هذا اليوم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً ، تتألق وجوههم جلالاً وجمالاً وكمالاً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، تراهم زكماً منقاداً يمشون فضلاً من الله ورضواناً ، يجلسون في أتب وغلق وخشوع وإنصات إلى خطيب الجمعة : يُشخص الداء ويصف الدواء ويوجه ويُرشد ويُعلم ويُنير الطريق ، فإذا ما قضيت الصلاة انتشروا في الأرض يمشون من فضل الله .

وهل الإسلام إلا قيادة وعبادة ووفاء وسلام وقضاء وجهاد ، إنه اليوم الخالد يحدد المسلمون فيه الطاقات الروحية ليعيشوا عليها بقية أيام الأسبوع ، تزيدهم الصلوات الخمس نوراً وضياءً وبهاءً : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ • الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ • وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاجِلُونَ) (المؤمنون : ١ - ٤)

عبد الحميد كشك

الفصل الأول

في رحاب سورة الجمعة

سورة الجمعة سورة مدنية .

عدد آياتها : إحدى عشرة .

وسُميت سورة الجمعة لاشتغالها على أحكام « صلاة الجمعة » التي فرضها الله على المؤمنين .

وقد كان ﷺ - كما أخرج مسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عباس - يقرأ في الجمعة بسورها و « إذا جاءك المنافقون » .

وأخرج ابن حبان والبيهقي عن جابر بن سمرة أنه قال : كان ﷺ يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة « قل يا أيها الكافرون » و « قل هو الله أحد » وكان يقرأ في صلاة العشاء الأخيرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقون .

وفي ذلك دلالة على مزيد شرف هذه السورة .

مقصود السورة إجمالاً

هذه السورة الكريمة ذُكر فيها خير كتاب أنزل ، وخير نبي أرسل ، وخير أمة أخرجت للناس ، وخير يوم طلعت عليه الشمس .

وتناولت السورة الكريمة بعثة خاتم الرسل محمد بن عبد الله ﷺ ، وبيّنت أنه الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير ، أنقذ الله به الإنسانية من ظلام الشرك والضلال .

يهود والنصارى عن شريعة الله ، حيث كُلفوا بالعمل بها ونيلوها وراء ظهورهم ، وضربت مثلاً لهم به الكتب الكثيرة النافعة ولكنه لا يناله منها إلا العناء والتعب .

بلاهة الجماعة ، فدعت المؤمنين إلى المسارعة لأداء مع وقت الأذان ووقت النداء لها ، ونُحِت بالتحذير من تجارة واللغو ، كحال المنافقين الذين ألغَوْا أموالهم في الصلاة .

اقرأ القرآن العظيم

تَمَوَّنَتْ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ
لِيَرْىَ بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو
آيَاتِهِ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
بِأُمِّيِّينَ ۝ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَنَأْتِلَحِقُوهُمْ
مُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
بِكَمٍّ مَعْلُومٍ ۝

تفسير المفردات

(الْأُمِّيِّينَ) : العرب المعاصرين للنبي ﷺ ، سُمُّوا بذلك لاشتغالهم بالأمية وهي عدم القراءة والكتابة .

(يَرْكُبُهُمْ) : من التركبة وهي التعصب من دُئس الشرك والمعاصي .

(أَسْفَاراً) : جمع سفر وهو الكتاب الكبير .

(هَادُوا) : تدبثوا باليهودية .

التفسير

قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقَلُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

يظهر تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض ، أى من جميع المخلوقات ناطقها وجامداها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (الإسراء : ٤٤)

وصيغة المضارع ﴿ يُسَبِّحُ ﴾ لإفادة التجدد والاستمرار فهو تسبيح دائم لله تعالى والجلال . ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أى العزيز فى ملكه القادر الغالب الحكيم فى أفعاله وأفعاله ، والحكيم هو الذى يضع الأشياء فى مواضعها بحيث لا يخلو من القوة والقدرة . ونحن نلاحظ أن العزة وصف قوة والقدرة ، أن يعلم وإتقان ، والقوة مظنة القسوة ، والحكمة موطن الإنصاف تناسب اقتران وصف « العزيز » بوصف « الحكيم » لتعلم أن عزة الله ، لا جور فيها ولا ظفان . .

الكبر المتعال

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَقُولُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِنَ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ .

أى هو جلّ وعلا برحمته وحكمته الذى بعث في العرب رسولا من جنسهم ، أميا مثلهم لا يقرأ ولا يكتب . فإن قيل : ما وجه الامتنان بأن بعث نبيا أميا ؟ فالجواب : لينتفى عنه سوء الظن في تعليمه ما دعى عليه من الكتب التى قرأها والحكم التى تلاها .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَنظُرُونَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا لِحُطَّةٍ يُعْطِيكَ إِذَا لَا زَلَّاتِ الْمُبْتَلُونَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .

(المتكبر : ١٨ ، ١٩)

وقوله : ﴿ يَقُولُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾ مع كونه أميا مثلهم لم يقف منه قراءة ولا تعلم يتلو عليهم القرآن الكريم . ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أى يحلّهم على ما يصرون به أزكيا طاهرين من غيبت المفائد والأعمال . ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ يعنى القرآن . ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ قال الحسن : الحكمة : السنة . ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِنَ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ من الشرك وغيبت الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم إلى من يرشدهم .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « وذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروا وقلوبهم وخالفوه ، واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكاً ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله . وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرّفوها وغيروها وأوّلوها ، فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم ، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم ، والنهي عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى ، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع .

وجمع له تعالى - وله الحمد والمنة - جميع الحسن من كان قبله ، وأعطاه

ما لم يعط أحد من الأولين ، ولا يعطيه أحد من الآخرين ، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين » (١) .

سدى أبا القاسم :

أنت الذى قاد الجيوش محطماً عهد الضلال وأدب السفهاء
وسموت بالبشر الذين تعلموا سنن الشريعة فارتقوا سعادات
سعدت بصنعك السموات العلوى والأرض صارت جنة خضراء

• • •

قوله تعالى : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

أى : وبعث الرسول ﷺ إلى قوم آخرين ، لم يكونوا في زمانهم وسببهم بعدهم ، وهم جميع من أسلم إلى يوم القيامة ، لأن رسالته ﷺ عامة للعرب ولغيرهم إلى يوم الدين .

أخرج البخارى في صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « كنا جلوساً عند النبى ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة ، فلما قرأ : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ... ﴾ قال رجل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ فلم يراجعه النبى ﷺ ، حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً . قال : « وفيما سلمان الفارسى . قال : فوضع النبى ﷺ يده على سلمان ثم قال : لو كان الإيمان عند الثريا لآتاه رجال من هؤلاء . » (والدرى : نجم معروف) .

وقد أخرج مسلم الحديث مجرداً عن السبب عن أبى هريرة رفعه : « لو كان الدين عند لغوا لذهب رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه . »

وقال ﷺ : « لَيُتَغْنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله في هذا الدين ، يعز عزير أو يذل ذليل ، عزاً يعز الله به دين الإسلام ، وذللاً يذل به الكفر » رواه الجماعة .

• • •

(١) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٦٣) .

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .
 ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ إشارة إلى ما تقدم من كونه عليه الصلاة والسلام رسولاً في
 الأمين ومن بعدهم معلماً ومزكياً ، وما فيه من معنى البعد للتعظيم ، أى ذلك
 الفضل العظيم ﴿ فَضْلُ اللَّهِ ﴾ وإحسانه جل جلاله ﴿ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من
 عباده تفضلاً ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَاتُ لَمْ يُحْمَلُوا بِهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ
 يُحْمَلُ أَثْقَارًا يَنْسِي مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ﴾ .

ضرب مثلاً لليهود لما تركوا العمل بالثوراة ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿ حُمِلُوا
 الثَّورَاتُ ﴾ أى كُفِّلُوا العمل بها ﴿ ثُمَّ لَمْ يُحْمَلُوا ﴾ أى لم يعملوا بها ﴿ كَمَثَلِ
 الْحِمَارِ يُحْمَلُ أَثْقَارًا ﴾ شبههم والثوراة في أيديهم وهم لا يعملون بها بالحمار
 يحمل كعباً ، وليس له إلا ثقل الحمل من غير فائدة .

قال ابن القيم رحمه الله في (إعلام الموقعين) : « فهذا المثل وإن كان قد ضرب
 لليهود فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤدِّ حقّه
 ولم يَرَعَهُ حق رعايته » .

وقال القرطبي : « وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حُمِّلَ الكتاب أن يتعلم
 معانيه ويعمل بما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء » .

« ووجه ارتباط الآية بما قبلها تضمنها الإشارة إلى أن ذلك الرسول المبعوث قد
 بعثه الله تعالى بما نعت به في الثوراة وعلى ألسنة أنبياء بني إسرائيل ، كأنه قيل : هو
 الذي بعث البشر به في الثوراة المبعوث فيها النبي الأُمِّي المبعوث إلى أمة آمين ،
 مثل مَنْ جاءه نعت فيها وعُلبته ثم لم يؤمن به مثل الحمار » (١) .

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ الظالمين لأنفسهم بتمريرها للعذاب الخالد
 بسبب تكذيبهم بآيات الله ، والتي من جملتها الآيات الناطقة بنبوّة محمد رسول الله ﷺ .

(١) روح المعاني ، للأوسى .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن رِغْصَتِكُمْ أَلَيْسَ لَكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهُ مِنْ قَوْمِ
 النَّاسِ قَتَلْتُمُوهُمُ الْيَوْمَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . وَلَا تَعْتَبُوهُ أَيْدِيَكُمْ أَلَيْسَ لَكُمْ
 عِلْمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ .

لما أدعت اليهود الفضيحة وقالوا ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَآحِبَّاهُ ﴾ (القصص : ١٨) .
 ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ (البقرة : ١١١) أمر الله
 رسوله أن يقول لهم ذلك إظهاراً لكذبهم : ﴿ إِن رِغْصَتِكُمْ أَلَيْسَ لَكُمْ أَوْلِيَاءُ ﴾ من قَوْمِ
 النَّاسِ قَتَلْتُمُوهُمُ الْيَوْمَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿ أى إن كنتم صادقين في دعواكم قتلنا
 الموت لتصوروا إلى ما يصور إليه أولياء الله ، فلأولياء عند الله الكرامة .

﴿ وَلَا تَعْتَبُوهُ أَيْدِيَكُمْ أَلَيْسَ لَكُمْ عِلْمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ إخبار بألهم المستقبلية وهو عدم
 تنبيه الموت . وفي الحديث : « والذي نفسي بيده ، لو قتلوا الموت ما بنى على
 ظهرها يهودى إلا مات » . فلم يمت أحد منهم ، وما ذلك إلا لأنهم كانوا موقنين
 بصدقته ﷺ ، فعلموا أنهم لو قتلوا ماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد ، وهذه
 إحدى معجزاته ﷺ .

وقوله : ﴿ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ ﴾ أى بأبواب القنّى بسبب ما قدّمت أيديهم من
 الآثام والمعاصي والشرك بالله . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ أى عالم بهم وما صدر
 عنهم من فنون الظلم والمعاصي .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِ الْمَوْتَ الَّذِي تَتَرَوْنَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى
 عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

أى قل لهم يا محمد : إن هذا الموت الذى مهربون منه وتخافون أن تصنوه حتى
 يلسانكم ﴿ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ أى فإنه آتيكم لا محالة لا ينفكمم الفرار منه ﴿ ثُمَّ
 تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أى ثم ترجعون إلى الله الذى لا تخفى عليه
 خافية ﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أى فيجازيكم على أعمالكم . وفي الآية
 تهديد ووعد .

خير يوم طلعت عليه الشمس

قال تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ثَوَدْتُمُ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا مُنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

أخرج سعيد بن منصور وابن مردويه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله : يا أيها الله ، لأى شيء سُمي يوم الجمعة ؟ فقال : لأن فيها جُمعت طينة أديم آدم عليه السلام ... الحديث .

وأخرج ابن أبي حاتم عن سلمان قال : قال أبو القاسم عليه السلام : يا سلمان ، ما يوم الجمعة ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله عليه السلام : يوم الجمعة جُميع فيه أبوكم .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : ذكره ابن أبي حاتم موقوفاً بإسناد قوى ... وهذا أصح الأقوال ... وقيل : سُمي بذلك لاجتماع الناس للصلاة فيه .

وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به ففعلوا عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذى لم يقع فيه خلق آدم ، واختار النصارى يوم الأحد الذى ابتدئ فيه الخلق ،

كما أخرجه البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، يتدأ بهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم إن هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاحتفلوا فيه فهدانا الله له ، فالتاس لنا فيه تبع ، اليهود غداً ، والنصارى بعد غدٍ .

قال ابن حجر في الفتح : في قوله ﷺ : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، أى الآخرون زماناً الأولون منزلة . والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة لها في الآخرة بأنهم أول من يُخشَر ، وأول من يُحاسب ، وأول من يُقضى بينهم ، وأول من يدخل الجنة .

وقوله : يتدأ بهم أوتوا الكتاب من قبلنا ... معناه أننا سبقنا بالفضل إذ هُدينا للجمعة مع تأخرنا في الزمان ، بسبب أنهم ضلوا عنها مع تقدمهم .

وقوله : ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاحتفلوا فيه . والمراد باليوم يوم الجمعة ، والمراد بفرضه فرض تعظيمه ، ولكتم احتفلوا فيه .

روى الطبراني بإسناد صحيح عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ قال : أرادوا الجمعة فأخطأوا وأخذوا السبت مكانه .

قال الحافظ : ويحتمل أن يراد بالاختلاف اختلاف اليهود والنصارى في ذلك .

وقوله ﷺ : فهدانا الله له ، يحتمل أن يراد بأن نُصِّر لنا عليه ، وأن يراد الهداية إليه بالاجتهاد . ويشهد لثنائى ما رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال : اجتمع أهل المدينة قبل أن يُقدِّمها رسول الله ﷺ وقبل أن تنزل الجمعة ، فقالت الأنصار : إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى كذلك ، فهلهم فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلى ونشكره ، فجعلوه يوم العروبة وهو يوم الجمعة ، واجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلّى بهم يومئذ ، وأنزل الله تعالى بعد ذلك : ﴿ إِذَا ثَوَدْتُمُ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾ الآية .

قال الحافظ : وهذا الحديث وإن كان مرسلًا فله شاهد بإسناد حسن أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وغير واحد من حديث كعب

ابن مالك قال : « كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مفيم رسول الله ﷺ المدينة أسعد بن زرارة ... » الحديث .

« فرسل ابن سهرين يدل على أن أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد ، ولا يمنع ذلك أن يكون النبي ﷺ عليمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن من إقامتها ، ولذلك جمع بهم أول ما قدم المدينة ﷺ كما حكاه ابن إسحق وغيره . وعلى هذا فقد حملت الهداية للجمعة بجهتي البيان والتوفيق .

وقيل : الحكمة في اختيارهم الجمعة وقولُ حَقِّ آدم فيه ، والإنسان إنما خلق للعبادة فحاسب أن يشغل بالعبادة فيه ، ولأن الله تعالى أكمل فيه الموجودات وأوجد فيه الإنسان الذي يتفجع بها فحاسب أن يشكر على ذلك بالعبادة فيه . وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا دُعِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْتَغْزُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَفَرُّوا الصِّغَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

قال القاسمي في (محاسن التأويل) :

قال الرازي : وجه تعلق آية الجمعة بما قبلها هو أن الذين هادوا يقرّون من الموت شحاح الدنيا وطيباتها ، والذين آمنوا يبيعون ويشترّون لشحاح الدنيا وطيباتها كذلك ، فتيهم الله بقوله ﴿ فَاسْتَغُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أى إلى ما ينفعكم في الآخرة وهو حضور الجمعة ، لأن الدنيا ومتاعها فانية ، والآخرة وما فيها باقية .

ووجه آخر في التعليق : قال بعض العلماء : قد أبطل الله قول اليهود في ثلاث :
افسخوا بأنهم تولوا الله وأحباوه فكذبهم بقوله ﴿ فَتَحْنُوا الْمُوتَ ﴾ ، وبأنهم أهل
الكتاب والعرب لا كتاب لهم ، فشبههم بالحمار يحمل أسفاراً ، وبأنهم ليس
للمسلمين مثله ، فشرع الله للمسلمين الجمعة اهـ .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْتَغِزُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

أى يا معشر المؤمنين الصادقين بالله ورسوله إذا سمعتم المؤذن ينادى لصلاة

الجمعة ويؤذن لها ﴿ فاستقوا إلى ذكر الله وذروا البيع ﴾ أى فامضوا إلى سماع الخطبة وأداء الصلاة واتركوا البيع والشراء ، اتركوا التجارة الحاضرة واستقوا إلى التجارة الراجعة .

قال المفسرون : والسعي في الآية بمعنى المشي لا بمعنى الجري ، الحديث : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون ، وعليكم السكينة » .
قال الحسن : « والله ما هو بالسعي على الأقدام ، ولكنه سعى بالقلوب وسعى بالنية وسعى بالرغبة ، ولقد لُهو أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار » .
وقال قتادة : « السعي أن تسعى بقلبك وعملك » .

وقوله تعالى ﴿ وَفَرَّوْا الْبَيْعَ ﴾ قال القرطبي : « منع الله عز وجل منه عند صلاة الجمعة وخبره في وقتها على مَنْ كان مُحاطاً بفرضها . والبيع لا يخلو عن شراء فاكفى يذكر أحدهما . ويحصر البيع لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق . ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا يَتَنهى عن البيع والشراء . »

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى ذلك المسمى إلى مرضاة الله وترك البيع والشراء خير لكم وأنفع من تجارة الدنيا ، فإن الآخرة هي دار القرار ، قال تعالى : ﴿ لِيُثَبِّتَ أَفْئِدَةً أَن تُؤْفَكَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمَهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رَجَالٌ لَا لُتْهُمْ تِجَارَةً وَلَا تَبِعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ الْعِتَادُ وَإِيَّاءَ الزَّكَاةِ يَحَافُونَ يَوْمًا تَلْقَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ . لِيَجْزِيَهمَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .
(البقره : ٢٧ - ٢٨)

توله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَالْأَكْثَرُ لَكُمْ فَالْيَسُونَ ﴾ .

هذا أمر إباحة ، يقول تعالى : إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في أموالكم ﴿ وابتكروا من فضل الله ﴾ أى من رزقه .

وكان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : « اللهم إني أجهت دعوتك ، وصليت فريضتك ، وانشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين » .

قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي بالطاعة واللسان ، والشكر على ما به أنعم عليكم من التوفيق لأداء الفرائض ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي كي تفلحوا وتفوزوا بسعادة الدارين .

قال سعيد بن جبير : « الذكر طاعة الله تعالى ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يُطِعه فليس بذاكر وإن كان كثير التسبيح » .

قال الشيخ الصابوني : « وفي قوله تعالى ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ لطيفة ، وهي أن الله عز وجل أمر بالسعي في طلب الرزق والاشتغال بالتجارة ، ولما كان هذا قد يسوق الإنسان إلى الغفلة ، وربما دفعته الرغبة في جمع المال إلى الكذب والفسخ والاحتيال ، أمر المسلم أن يذكر الله تعالى ، ليعلم أن الدنيا ومتاعها فانية ، وأن الآخرة وما فيها باقية ، وأن ما عند الله خير وأبقى ، فلا تشغله تجارة الدنيا عن تجارة الآخرة ، كما قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ رَجَالٌ لَا لِبَاسُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَتَّبِعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (النور : ٣٧) وهذا هو السر في الأمر بذكر الله كثيراً ، فتدبره » .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله : أن النبي ﷺ كان يخطب قائماً يوم الجمعة ، فجاءت عير من الشام فانفل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً ، فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ... ﴾ الآية .

هذا وقد ذكر أبو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لأنفسهم في ترك مناع الخطبة فقال : عن مقاتل بن حيان قال : « كان رسول الله ﷺ يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العبدین ، حتى كان يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب وقد صلى الجمعة ، فدخل رجل فقال : إن دحية بن خليفة الكلبي قدِمَ بتجارة ، وقد كان دحية إذا قدم تلقاه أهله بالدفاف ، فخرج الناس فلم يظنوا إلا أنه ليس في ترك الخطبة شيء ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ فقدم النبي ﷺ الخطبة يوم الجمعة وأتم الصلاة » .

قال السهيلي : « وهذا الخبر وإن لم يُنقل من وجه ثابت فالظن الجميل بأصحاب النبي ﷺ يُوجب أن يكون صحيحاً » .

قال العلامة الألويسي في تفسيره (روح المعاني) : « وكان قد أصاب أهل المدينة جوعٌ وغلاءٌ سمر فحاف أولئك المنفَضُّون اشتداد الأمر عليهم بشراء غيرهم ما يُقتات به لو لم ينفَضُوا ، ولذا لم يتوَعَّدْهم الله تعالى على ذلك بالنار أو نحوها ، بل قصارى ما فعل سبحانه أنه عاثبهم وعظَّمهم ونصَحهم ، لأنه سبحانه كما قال في كتابه : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب : ١٢) » .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ . أي قل لهم يا محمد : إن ما عند الله من الثواب والنعيم المقيم خير مما أصبتموه من اللهو والتجارة ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ فإنه سبحانه اسعوا ، ومنه عز وجل اطلبوا الرزق ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (الداريات : ٥٦ - ٥٨)

والرزاق اسم من أسماء الله الحسنى ، وهو مشتق من مادة الرزق .
والرزق رزقان : رزق الأجسام بالأطعمة ونحوها ، ورزق الأرواح بالعلوم والمعارف والإلهامات الصادقة ، وهو أشرف الرزقين ، لأن ثمرته باقية ، ورزق الأبدان إلى مدة قريبة الأمد .

والرزاق هو خالق الأرزاق ، المفضل بإيصالها إلى خلقه ، المسبب لها الأسباب ، وهو وحده سبحانه مالك الرزق ، ومن علم ذلك أبين أن رزقه ليس في يد أحد غير الله سبحانه .

فليطمئن المؤمن نفسه ولْيَقْل لها دائماً :

لَا تَجْعَلَنَّ فِلْسَ الرِّزْقِ بِالْعَجَلِ الرِّزْقُ فِي اللُّوحِ مَكْتُوبٌ مَعَ الْأَجَلِ
فَلَوْ صَبَرْنَا لَكَانَ الرِّزْقُ يَطْلُبُنَا لَكِنَّهُ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ

قال عليه السلام : « إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته . »

أخرجه الحاكم وصححه

وينبغي للعبد أن يعرف حقيقة وصف الرزاق ، وأنه لا يستحقه إلا الله تعالى ، فلا ينتظر الرزق إلا منه ، ولا يتوكل فيه إلا عليه .

قيل لأعرابي : من أين تأكل ؟ فقال : الذي خلق الرّحى بأنيتها بالطحين ، والذي شدق الأشداق هو خالق الأرزاق .

وقيل لحاتم الأصم : من أين تأكل ؟ فقال : من عند الله . فقيل له : الله ينزل لك دنائير ودراهم من السماء ؟ فقال : كأن ما له إلا السماء ! يا هذا ، الأرض له والسماء له ، فإن لم يؤت الرزق من السماء ساقه لي من الأرض . وأنشد :

وكيف أحصا الفقراء والله رازقي ورزقي هذا الخلق في السر والسر
تكفل بالأرزاق للخلق كلهم وللضب في البيداء والحويت في البحر

والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً رزقه علماً نافعاً ، ولساناً ذاكراً ، وبدأ منفعة مصدقة ، ويكون سبباً لوصل الأرزاق الشريفة إلى القلوب بأقواله وأعماله ، وإذا أحب الله تعالى عبداً أكثر حوائج الخلق إليه .

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً ، ورزقاً طيباً ، وعملأً مقبلاً .

الفصل الثاني

فضل يوم الجمعة وصلاة الجمعة

فضل يوم الجمعة

يوم الجمعة أفضل الأيام وأشرفها .

١ - فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة . »

٢ - ورواه ابن خزيمة في صحيحه ، ولفظه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة ، هذان الله له وضل الناس عنه ، فالتاس لنا فيه تبع فهو لنا ، واليهود يوم السبت ، والنصارى يوم الأحد ، إن فيه ساعة لا يوافقها مؤمن يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه . »

٣ - وعن أبي لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله ، وهو أعظم عند الله من يوم الأضحي ويوم النضر ، وفيه خمس خصال : خلق الله فيه آدم ، وأعطى الله فيه آدم إلى الأرض ، وفيه تولى الله آدم ، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً ، وفيه تقوم الساعة ، ما بين ملأ من مقرب ولا سماء ولا أرض ولا ريح ولا جبال ولا بحر إلا ونحن يُشْفِقُن من يوم الجمعة . »

رواه أحمد وابن ماجه بلفظ واحد ، وفي إسنادهما عبد الله بن محمد بن حنبل وهو من أحج به أحمد وغيره ، وفيه رواه ثقات مشهورون . حكاه المنذري .

وأبوابها ، مطردة فيها أنهارها مقلدة ، فيها ثمارها ، فيها أزواجها وخدماها ، فلبسوا
إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا من كرات عز وجل ويزدادوا نظراً
إلى وجهه ، فذلك ذهب يوم المريد .

قال الذهبي في كتابه (العلل) : « هذا حديث مشهور واقر الطريق أخرجه
الإمام عبد الله بن أحمد في كتاب السنة له ، وأخرجه الإمام محمد بن إدريس
الشافعي في مسنده ، وقد أخرجه الدارقطني عن طريق حمزة بن واصل المنقري
عن قتادة عن أنس . »

■ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة
فقال : « فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً
إلا أعطاه ، وأشار بيده يقللها » رواه البخاري ومسلم وسائر .
ومعنى يقللها : يزيدها ، يضي يرمز إلى قصرها وعدم كثرتها .

٦ - وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال لي
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : سمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في
شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت : نعم سمعته يقول . سمعت رسول الله ﷺ
يقول : هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة . رواه مسلم .

ز إلى هذا القول ذهب جماعة من أهل العلم : ابن العربي والقرطبي والبيهقي
والنووي . قال المحب الطبري : أصبح الأحاديث في تعيين الساعة حديث
أبي موسى ، وقد صرح مسلم بمثل ذلك .

٧ - وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : قلت ورسول الله ﷺ
جالس : إنا لنجد في كتاب الله تعالى : في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن
يصلي يسأل الله فيها شيئاً إلا قضى الله حاجته . قال عبد الله : فأشار إلى رسول
الله ﷺ : لو بعض ساعة . فقلت : صدقت ، أو بعض ساعة . قلت : أي ساعة
هي ؟ قال : آخر ساعات النهار . قلت : إنها ليست ساعة صلاة ؟ قال : بل إن
العبد إذا صلى ، لم يجلسه إلا الصلاة فهو في صلاة .

رواه ابن ماجه وإسناده على شرط الصحيح . أفاده المنقري

٨ - وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « يوم الجمعة اثنتا
عشرة ساعة . فيها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله عز وجل شيئاً إلا آتاه
بها » فافهموا آخر ساعة بعد العصر ، رواه أبو داود والنسائي والبيهقي .

ورأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن الساعة التي تُرجى
فيها بعد العصر إلى أن تغرب الشمس ، وبه يقول أحمد وإسحق . وقال أحمد :
أكثر الحديث في الساعة التي تُرجى فيها إجابة الدعوة أنها بعد العصر . قال :
وتُرجى بعد زوال .

قال الشوكاني في (نيل الأوطار) :

« ولا شك أن الأحاديث الواردة في كونها بعد العصر أرجح لكثرتها واتصالها
بالسماح ، وأنه لم يخفف في رفعها ، والاعتناء بكونه قول أكثر الصحابة ففيها
أربعة مرجحات . وفي حديث أبي موسى مرجح واحد وهو كون في أحد
الصحيحين دون بقية الأحاديث . »

وسلك صاحب مدى مستكناً آخر واختار أن ساعة الإجابة منحصر في أحد
الزمتين المذكورين ، وإن أحدهما لا يعارض الآخر لاحتمال أن يكون بينهما ذلك على
أحدهما في وقت وشي لآخر في وقت آخر . وهذا كقول ابن عبد البر : ينبغي
الاجتهاد في دعاء المؤمنين المذكورين ، وسبق إلى تجويز ذلك لإمام أحمد .
قال ابن سير : قد غنم أن مدة الإجابة هذه الساعة وليلة القدر نعمت الدعوى
على الإكثار من الصلاة والدعاء . ولو وقع البيان لها لا تكل الناس على ذلك
وتركو ما عداها ، فحجب بعد ذلك ممن يتكلم في طلب تعديدها .

وقال في موضع آخر : نعمن جمع الأقوال فتكون ساعة الإجابة واحدة منها
لا بعينها فيعدها من اجتهد في جميعها (١) .

فضل صلاة الجمعة

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ

(١) نيل الأوطار (٣ / ٢٤٣) .

فأحسن الوضوء ، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت ، غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مسَّ الحصا فقد لغا .

رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه

شرح مفردات الحديث

قوله ﷺ : فأحسن الوضوء : إحسان الوضوء : غسل الأعضاء ثلاثاً ثلاثاً ، وتقديم الميامن ، والإتيان بسنة المشهورة من التسمية في أوله والترتيب والموالة ونحو ذلك .

وقوله : ثم أتى الجمعة : يعني : خرج من بيته عامداً إلى المسجد لصلاة الجمعة .

وقوله : فاستمع : أى للخطبة ، ومعنى استمع أصغى وقصد للسمع .

وقوله : وأنصت : أى سكت ولم يتكلم أثناء الخطبة .

وقوله : غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى ، وزيادة ثلاثة أيام : وذلك لأن الحسنه بعشر أمثالها .

وقوله : ومن مسَّ الحصا فقد لغا : النفوس في اللغة : الباطل ، فمعنى قوله : فقد لغا : أى جاء بالباطل وما ليس بحق . قال النضر بن هميل : معنى : فقد لغا : أى عاب من الأجر .

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : : الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفّرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر . رواه مسلم .

شرح مفردات الحديث

قوله ﷺ : مكفّرات ما بينهن : هذا خبر عن المعطوفات الثلاث ، يعنى أن كلاً منها مكفّر لما يقع بينه وبين الذى يليه ، فكل صلاتين من الصلوات الخمس

مكفّرات لما يقع بينهما من الذنوب الصغيرة ، وكذلك كل جمعيتين تؤدّيان على وجه مقبول يكفّر الله بهما ما يقع من الصغائر بينهما ، وكذلك من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما وقع منه إلى رمضان الذى يجرى بعده ، وهكذا فتأمل سعة مغفرة الله عز وجل ، حيث جعل هذه العبادات نافية لما يقع بينهما من الذنوب فضلاً منه ورحمة .

وقوله ﷺ : إذا اجتنب الكبائر : وذلك لأن الكبائر لا تكفّر بها إلا التوبة النصوح بشروطها المعروفة .

٣ - وأخرج البخارى في صحيحه عن سلمان الفارسي قال : قال النبي ﷺ : لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهّر ما استطاع من طهّر ويهجن من دهنه أو يمسّ من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلى ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام ، إلا غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة الأخرى .

شرح مفردات الحديث

قال ابن حجر في الفتح :

قوله ﷺ : ويتطهّر ما استطاع من الطهّر : المراد به المبالغة في التطهير ، ويؤخذ من عصفه على الفيل أن إفاضة الماء تكفى في حصول الغسل ، أو مراد به التطهير بأخذ الشارب والظفر والعانة .

قوله : ويهجن : المراد به إزالة شعث الشعر به ، وفيه إشارة إلى استحباب تزيين يوم الجمعة .

قوله : أو يمسّ من طيب بيته : أى إن لم يجد دهنه ، ويحتمل أن يكون : أو : بمعنى : أو ، وإضافته إلى البيت تؤذن بأن السنة أن يتخذ المرء لنفسه طيباً ويجعل استعماله له عادة فيُدخره في البيت ... وفي رواية أبي داود من الزيادة : (ويلبس من صالح ثيابه) فيه استحباب لبس أحسن الثياب يوم الجمعة .

قوله : فلا يفرق بين اثنين : وفي رواية : لم لم يتخطّ رقاب الناس .

وقوله : « إِنْ غُيِّرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى » : المراد بالأخرى التي مضت ، لحديث ابن خزيمة ولفظه : « غُيِّرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي قَبْلَهَا » .
 وفي رواية : « وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَهَامٍ مِنَ الَّتِي بَعْدَهَا » .

قال ابن حجر : « وَتَبَيَّنَ بِمَجْمُوعِ مَا ذَكَرْنَا أَنَّ تَكْفِيرَ الذُّنُوبِ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ مَشْرُوطٌ بِوُجُودِ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ غَسْلِ وَتَنْظِيفِ وَتَطْلُبِ أَوْ دَهْنٍ ، وَلَيْسَ أَحْسَنُ الثَّيَابِ ، وَالْمَشْيُ بِالسَّكِينَةِ ، وَتَرْكُ التَّخَفُّضِ وَالتَّفَرُّقِ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ ، وَتَرْكُ الْأَذَى ، وَالتَّنْفُلِ ، وَالْإِنْصَاتِ ، وَتَرْكُ اللَّغْوِ » .

فضل التكبير إلى صلاة الجمعة

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غَسَلَ الْجَنَابَةَ ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبِشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمْعُونَ الذِّكْرَ » .

شرح مفردات الحديث

قال الحافظ في الفتح :

« فَوْنُهُ » ﷺ « مَنْ اغْتَسَلَ غَسَلَ الْجَنَابَةَ » : أَيْ غَسَلَ كَثُلَ الْجَنَابَةِ . وفي رواية ابن جرير عند عبد الرزاق : « فَاغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ كَمَا يَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ » . وظاهره أن التشبيه للكيفية لا للحكم ، وهو قول الأكثر . وقيل : فيه إشارة إلى الجامع يوم الجمعة ليغتسل فيه من الجنابة ، والحكمة فيه أن تسكن نفسه في الرواح إلى الصلاة ولا تمتد عنه إلى شيء براه ، وفيه حمل المرأة أيضاً على الاعتسال ذلك اليوم . والصواب الأول .

قوله « ثُمَّ رَاحَ » : زاد أصحاب الموطأ عن مالك : « فِي السَّاعَةِ الْأُولَى » .

قوله « فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ » : أَيْ تَصَدَّقَ بِهَا مَقْرَبًا إِلَى اللَّهِ . وقيل : أراد أن للمباور في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له القرب . لأن القربان لم يُشرع لهذه الأمة على الكيفية التي كانت للأمم السالفة . و مراد بالبدنة هنا الناقة بلا خلاف .

وقوله « كَبِشًا أَقْرَنَ » أي له قرنان ، ووصفه بالأقرب لأنه أكمل وأحسن صورة .

قال النووي : « وَمَنْعَبُ الشَّافِعِيِّ وَجَاهِرُ أَصْحَابِهِ وَابْنُ حَبِيبٍ الْمَذْكُورُ وَجَاهِرُ الْعُلَمَاءِ اسْتِحْبَابُ التَّكْبِيرِ إِلَيْهَا أَوَّلَ النَّهَارِ » . والساعات عندهم من أول النهار ، والزواح يكون أول النهار وآخره ، قال الأزهري : لغة العرب الزواح الذهاب سواء كان أول النهار أو آخره أو في الليل . وهذا هو الصواب الذي يقتضيه الحديث والمعنى ، لأن النبي ﷺ أخبر أن الملائكة تكلمت من جاء في الساعة الأولى وهو كالشهيد بدنة ، ومن جاء في الساعة الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ، وفي رواية النسائي السادسة ، فإذا خرج الإمام طووا الصحف ، ولم يكتبوا بعد ذلك أحداً .

ومعلوم أن النبي ﷺ كان يخرج إلى الجمعة متصلاً بالزوال وهو بعد منصات السادسة ، فدل على أنه لا شيء من الهدى والفضيلة لمن جاء بعد الزوال . ولأن ذكر الساعات إنما كان لمحض في التكبير إليها والفرغ في فضيلة السبق والحصول الصف الأول وانتظارها والاشتغال بالتنفل والذكر ونحوه ، وهذا كله لا يحصل بالذهاب بعد الزوال . ولا فضيلة لمن أتى بعد الزوال لأن النداء يكون حينئذٍ ويخبرم التخلف بعد النداء ، والله أعلم .

قوله ﷺ : « فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمْعُونَ الذِّكْرَ » .

استنبط منه الماوردي أن التكبير لا يستحب للإمام . قال : ويدخل المسجد من أقرب أبوابه إلى المنبر . وما قاله غير ظاهر لإمكان أن يجمع الأمرين بأن يُكَبَّرُ ، ولا يخرج من المكان المُعَدُّ له في الجامع إلا إذا حضر الوقت ، أو يحمل على مَنْ لَيْسَ لَهُ مَكَانٌ مُعَدُّ .

وفي رواية مسلم : « فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر » وكان بدء طي الصحف عند ابتداء خروج الإمام وانتهى بجلوسه على المنبر ، وهو أول سماعهم للذكر ، والمراد به ما في الخطبة من الموعظة وغيرها .
وأول حديث الزهري : « إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول » .

وعن أبي هريرة عند ابن خزيمة : « على كل باب من أبواب المسجد ملكان يكتبان الأول فالأول » فكان المراد بقوله في رواية الزهري « على باب المسجد » جنس الباب ويكون من مقابلة المجموع بالمجموع ، فلا حجة فيه من أجاز التعبير عن الاثنين بلفظ الجمع .

ووقع في حديث ابن عمر صفة الصحف المذكورة ، أخرجه أبو نعيم في الحية مرفوعاً بلفظ : « إذا كان يوم الجمعة بعث الله ملائكة بصحيف من نور وأقلام من نور » أخذت . وهو دال على أن الملائكة المذكورين غير الحفظة ، والمراد بصبى الصحف طي الصحف الفضائل المتعلقة بالمبادرة إلى الجمعة دون غيرها من سماع الخطبة ودراسة الصلاة والذكر والدعاء والتشروع ونحو ذلك ، فإنه يكتبه أحفظان فصلاً . ووقع في رواية ابن عيينة عن الزهري في آخر حديثه شارباً به عند ابن ماجه : « فمن جاء بعد ذلك فلنما يحيى ليجزى الصلاة » .

٥ - وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال : « تبيت الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة يكتبون بحجى الناس ، فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام ، فتقول ملائكة بعضهم لبعض : ما حبس فلاناً ؟ فتقول الملائكة : اللهم إن كان ضالاً فهد ، وإن كان مريضاً فاشفه ، وإن كان عائلاً فاعفه » . رواه ابن خزيمة في صحيحه .

٦ - وعن أبي عبيدة رضي الله عنه قال : قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « سارعوا إلى الجمعة ، فإن الله يترز إلى أهل الجنة في كل يوم جمعة في كتيب كافر ، فيكونون منه في القرب على قدر تسارعهم ، فيحدث الله عز وجل لهم من الكرامة ما لم يكونوا رأوه قبل ذلك ، ثم يرجعون إلى أهليهم فيحدثونهم

بما أحدث الله هم . قال : ثم دخل عبد الله المسجد فإذا هو يرتجئ يوم الجمعة ند سيقاه ، فقال عبد الله : رجلا وأنا الثالث ، إن شاء الله أن يبارك في الثالث » . رواه الطبراني في الكبير

قوله « فيكونون منه في القرب على قدر تسارعهم » أي على قدر إسراعهم إلى الجمعة ، ويكون قُربهم منه سبحانه على قدر قُربهم من الإمام .

٧ - وعن علقمة بن قيس رضي الله عنه قال : خرجت مع عبد الله بن مسعود يوم الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه ، فقال : رابع أربعة ، وما رابع أربعة من الله ببعيد ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس يجلسون يوم القيمة من الله عز وجل على قدر رواحتهم إلى الجمعات : الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم الرابع ، وما رابع أربعة من الله ببعيد » .
رواه ابن ماجه وابن أبي عمير . قال المنذرى : وإستادهما حسن

الفصل الثالث

أحكام وفتاوى

وعيد من ترك الجمعة بغير عذر

صلاة الجمعة من أكمل فروع الإسلام ، ومن أعظم محرمات المسلمين ، ومن أعظم من كل محرم يجتمعون فيه وأقرضه سوى مجمع عرفه ، ومن تركها تهاوياً ، طبع الله على قلبه ، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

١ - فمن أتى الجمعة قال : قال رسول الله ﷺ : « من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوياً بها طبع الله على قلبه » روى أحمد وأبو داود وابن ماجه وترمذي ، وحسنه الألباني .

٢ - وعن ابن عمر وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول وهو عن أحواد منبره : « ليتهم قوم عن ذنوبهم الجمعة ، أو يجتمع الله على قلوبهم ، لم يكونوا من العادين » رواه مسلم .

فأوله ﷺ : « من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوياً : الثلاث هنا ليس فيها تكون تركها كبيرة ولو مرة واحدة ، لكن يرد ذلك زيادة ترك حتى يكبر ، ضاعاً بهم الثلاث .

وأصل الطبع في اللغة من رشح والتدليس بصيان السيف ، ثم تستعمل في الأوزار والآثام وغيرها من المذبح . قال العراقي : والمراد بانطبع على قلبه أنه يصير قلبه قلب منافق ، قال الله في حزب المنافقين : ﴿ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ لَعْنَهُ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

٣ - وعن عبد الله بن أبي ثؤيب قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمع النداء

قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَنَسَّ مِنْ طَيِّبٍ إِنْ كَانَ لَهُ ، وَلَيْسَ مِنْ أَحْسَنِ نِيَابِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ وَعَلِيهِ السَّكِينَةُ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ ، ثُمَّ يَرْكَعُ إِنْ بَدَأَ لَهُ ، وَلَمْ يُزِدْ أَحَدًا ، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامُهُ حَتَّى يُصَلِّيَ ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا .

(أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي أيوب الأنصاري بإسناد حسن) .

الأعداد التي يبيح التعطيل عنها

قال النووي في شرح السنة : « أما ترك الجمعة بالعذر فجواز بالاتفاق . دعى ابن عمر لمعبد بن زيد وهو يموت ، وابن عمر يستجمر لجمعة ، فأثاه وترك الجمعة » وأحدث أخرجه الشافعي وإسناده صحيح .

وقال ابن عباس مؤذنه في يوم مطير : « إذا قلت : أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلا تقل حي على الصلاة ، قل : صلوا في بيوتكم ، وقال : إن الجمعة عزمة ، فإن كرهت أن أخرجكم فمضوا في بطون والدخول » (وبخاصة ، قد الحافظ : هو الزلق) .

رواه البخاري في باب الجمعة : باب الرحضة إن في حضر الجمعة في شهر قال الحافظ : « به قال الجمهور . ومنهم من فرق بين قليل مطر وكثيره . وعن مالك : لا يركبها في تركها بالمطر . وأحدث ابن عباس هذا حجة في جور ومن أعدل سدة المرض الذي يشق معه الذهاب إلى المسجد ، ومثل عرض البحر والذهب عن الذهاب إلى المسجد ، وإذا كان المريض يستطيع الذهاب مسجد ونكر مرضه يهدي الناس أو يؤذيه برأيه حذر له التحلف عن الجمعة . وكذلك في راحة كريمة تؤذى الجماعة كراحة البصل ونحوه وصلاة الجمعة بوجوه عام ذات أهمية كبيرة . ومن تركها عمداً عرض نفسه لعقوبة شديدة في الدنيا والآخرة .

فرض الجمعة ومن تجب عليه ومن لا تجب

صلاة الجمعة واجبة بقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ . وقول الرسول ﷺ : « لَتَتَّبِعَنَّ أَقْوَامًا عَنْ وَدْعِهِمْ حَمَلَاتٍ أَوْ لَيُخَيِّمَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَمَ تَكُونَنَّ مِنَ الْفَالِغِينَ » رواه مسلم .

يوم الجمعة ولم يأتمها لم سمع ولم يأتمها ثلاثاً طبع على قلبه فحِيلَ قلب منافق . أخرجه الضعيف في الكبير ، وقال الحارث : إسناده حسن .

٤ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة : « لقد سمعت أن أمر رجلاً يصلي بالناس ، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة يومهم » رواه أحمد ومسلم .

قال الشوكاني في (نيل الأوطار) : « وقد استدل بأحاديث الباب على أن الجمعة من فروض الأعيان . وقد حكى ابن المنذر الإجماع على أنها فرض عين . وقال ابن العربي : الجمعة فرض بإجماع الأمة . وقال ابن قدامة في المغني : أجمع المسلمون على وجوب الجمعة » .

٥ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « من ترك الجمعة ثلاث جمع متوالات فقد نهد الإسلام وراه ظهره » رواه أبو يعلى موطئاً بإسناد صحيح .

٦ - وروى الترمذي عن ابن عباس : « أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجماعة ولا الجمعة - أي بدون عذر - قال : هو في النار » . قال ابن عبد البر في (الاستذكار) : « وهذا محتمل أن يكون ابن عباس عرف حال المسفل عنه باعتقاد مذهب الخوارج في ترك الصلاة مع الجماعة ، والتهمة باستحلال دماء المسلمين ونكفرتهم ، وأنه لذلك ترك الجمعة والجماعة معهم ، فأجابه بهذا الجواب نفيًا عما عليه في سوء مذهب » .

حكم من ترك الجمعة بغير عذر

قال ابن عبد البر في (الاستذكار) : « أجمع علماء الأمة أن الجمعة فريضة على كل حر بالغ ذكراً ، يدركه زوال الشمس في بصر من الأمصار وهو من أهل المصر غير مسافر ، وأجمعوا أنه من تركها وهو قادر على إتيانها ممن تجب عليه أنه غير كافر بفعله ذلك ، إلا أن يكون جاحداً لها مستكبراً عنها ، وأجمعوا أنه بتركها ثلاث مرات من غير عذر فاسق ، ساقط الشهادة ، وقبل ذلك فيمن تركها عمداً مرة واحدة من غير تأويل ولا عذر » .

قال ابن العرف : « الجمعة فرض بإجماع الأمة » .

وقال ابن المنذر : « الجمعة فرض عين بإجماع العلماء » .

وقال ابن قدامة في المغني : « أجمع المسلمون على وجوب الجمعة » .

وهي واجبة على كل من جمع العقل والبلوغ والذكورة والخبرة والإقامة ، إذا لم يكن له عذر .

فليست واجبة على الأتني ولا على الرقيق ولا العبي ولا المسافرين ، لقوله

ﷺ : « الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة : عبد مملوك ،

أو امرأة ، أو مريض ، أو مسافر » أخرجه أبو داود ، وقال الحافظ : صحيحه غير واحد .

وكل من لا يجب عليه حضور الجمعة ، فإذا حضر وصلى سقط عنه فرض

الظهر بأداء الجمعة . قال عبد الله بن مسعود للنساء يوم الجمعة : « إذا صليتم مع

الإمام فصلتم بصلاته . فإذا صليتم وحدهن فصلتم أنفساً » .

وحضورها أفضل من صلاة الظهر لمن إذا لم يكن هناك قنفة .

عدم جواز السفر بعد الزوال لمن تلزمه الجمعة

وكل من تلزمه الجمعة لا يجوز له أن يسافر بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة ،

وإن سافر قبل الزوال بعد طلوع الفجر فلا بأس .

أخرج عبد الرزاق عن ابن سيرين : أن عمر بن الخطاب رأى رجلاً عليه ثياب

سفر بعد ما صلى الجمعة فقال : ما شأنك ؟ قال : أردت سفرًا مكروهًا أن

أخرج حتى أصلي . فقال عمر : إن الجمعة لا تمنعك السفر ما لم يحضر وقتها ،

قال ابن عمر : والحديث راجع لذلك .

وأخرج أبو داود في المراسيل وابن أبي شيبة عن الزهري : أنه إذا سافر

يوم جمعة ضحوة ، فقبل له في ذلك ، فقال : إن النبي ﷺ سافر يوم جمعة .

وقد ذهب إلى عدم جواز سفر بعد الزوال من تلزمه الجمعة : الشافعي

ومالك وأحمد وأكبر أهل العلم . وذهب أبو حنيفة وأوزاعي إلى حوازه كسائر

الصلوات . والقول قول الجمهور ، للأثر الذي وردت في ذلك .

العدد الذي تتعقد به الجمعة

لا خلاف بين الفقهاء أن الجماعة شرط من شروط صحة الجمعة ، لأن

التسمية تقتضي ذلك . وقد اختلفوا في العدد الذي تتعقد به الجمعة ، والآية

الكريمة : تنص على عدد معين ، وكذلك السنة المطهرة لم يرد فيها نص صريح

صحيح عن العدد الذي تتعقد به .

ولهذا اختلف الفقهاء على أقوال عديدة :

الحنفية قالوا : يكفي أربعة أحدهم الإمام ، وقيل : ثلاثة . والشافعية قالوا :

لا بد من جمع غير أقله أربعون . والمالكية قالوا : لا يشترط عدد معين بل

يشترط جماعة تسكن بهم قرية ويقع بينهم البيع ، ولا تتعقد بالثلاثة والأربعة ونحوهم .

قال حافظ في الفتح : « ولعل هذا المذهب أرجح المذاهب من حيث

الدليل » .

الأذان يوم الجمعة

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَفَرُوا الْبَيْعَ ﴾ قال القرطبي في هذه الآية : هذا دليل على أن الجمعة

لا يجب إلا بالنداء ، والنداء لا يكون إلا بدخول الوقت ، بدليل قوله عليه الصلاة

والسلام : « إذا حضرت الصلاة فأذنا ثم أقيما ويؤمكما أكبركما » . قاله مالك بن

الحويرث وصاحبه .

وفي بحار عن أنس بن مالك : أن النبي ﷺ كان يصلي الجمعة حين تميل

الشمس ... وهذا مذهب الجمهور من أحنف والشافعية ، وقاساً على صلاة الظهر .

ما هو الأذان الذي يجب السعي عنده ؟

اختلف العلماء في الأذان الذي يجب السعي عنده :

قال بعض العلماء : المراد به الأذان الأول الذى هو من (المنارة) .

وقال آخرون : المراد به الأذان الذى ينادى الخطيب إذا صعد الإمام المنبر

حجة الفريق الأول :

أن المراد من النداء هو الإعلام ، والسعى إنما يجب عند الإعلام ، وهو (الأذان الأول) على المنارة الذى زاده عثمان رضى الله عنه ، وذلك عندما رأى كثرة الناس وتساعد مساكنتهم عن المسجد ، فأمر بالتأذين الأول على الزوراء ، قال البخارى : وهى موضع بسوق المدينة . وقد ثبت الأمر على ذلك من عهدنا إلى عصرنا هذا .

واستدلوا بما رواه البخارى فى صحيحه عن السائب بن يزيد رضى الله عنه أنه قال : « كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبى ﷺ وثبت بكر وعمر رضى الله عنهما ، فلما كان زمن عثمان رضى الله عنه وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ، ثبت الأمر على ذلك » .

(والمقصود بالنداء الثالث الإقامة) .

حجة الفريق الثانى :

الأذان الذى يجب فيه السعى وترك البيع هو « الأذان الثانى » الذى يكون بين يدى الخطيب ، لأنه هو الأذان الذى كان فى زمنه ﷺ ، وهو عليه الصلاة والسلام أحرم الناس على أن يؤدى المؤمنون الواجب عليهم فى وقته ، فهو كان اسعى واجباً قبل ذلك لبيته لهم ، ولجعل بين الأذان والخفصة زمناً يتسمع الخطيب

وهذا المذهب هو رأى جمهور أهل العلم ، وهو الراجح .

هل يفسخ البيع عند الأذان ؟

دل قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ على حرمة البيع والشراء وسائر المعاملات عند الأذان ، وقد اختلف العلماء فى عقد البيع هل هو صحيح أم فاسد ؟

فقال بعضهم : إنه فاسد لورود النبى ﷺ ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ .
وقال الآخرون : إنه حرام ولكنه غير فاسد ، وهو يشبه الصلاة فى الأرض المفسوبة تصح مع الكراهة .

قال القرضى : « والصحيح فساده ونسخه لقوله عليه الصلاة والسلام : « كَلَّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ زَدٌّ » أى مردود . والله أعلم » .

حكم غسل الجمعة

- أخرج البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » .

- وأخرج أيضاً عن أن سعيد الخدرى رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « اغسل الجمعة واجب على كل محتلم » .

قال النووي : « مراد بمحتلم : السبع ، والمراد بالواجب : وجوب اختيار . كقول ربح لصاحبه : حقت وجبت على ، ومنه أعلم » .

وقال ابن عبد البر : « كنهه قال : واجب فى الأحلاق الكريمة وحسن المجالسة » .

- وعن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من توضأ يوم الجمعة فم ينعمت » ومن غتسل فغسل أفضل » .

رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن .

ورأى حاتم : « ذكر عن الأصمعى أنه سئل عن تفسير ذلك فقال : فم أى سنة - أخذ ونعمت الخصلة هى . أو قال : ونعمت الخصلة فعل » .

وجمهور أهل العلم على أن غسل الجمعة مستحب مندوب إليه فهو فضيلة لا فريضة .

قال ابن عبد البر : « لو كان الغسل للجمعة واجباً فرضاً لكان من فرضي الجمعة ألا تجزىء إلا به ، وقد أجمع العلماء على أن صلاة من شهد الجمعة على وضوء دون غسل جائزة ماضية . وبذلك على ذلك أيضاً أن عثمان دخل يوم

الجمعة وعمر يخطب فقال عمر : أية ساعة هذه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، انقست

من السوق فسمعت النداء ، فما زدت على أن توضأت . فقال عمر : الوضوء أيضاً وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل ؟ وبه يأمره بالخروج من الغسل ولا بالإعادة إذا صلاها بالوضوء بغير غسل ، وعثمان قد علم من ذلك ما حمله على شهودها بغير غسل .

وهذا الحديث رواه البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن عمر بن الخطاب بينما هو قائم في الخطبة يوم الجمعة إذ دخل رجل من المهاجرين الأولين من أصحاب النبي ﷺ فناداه عمر : أية ساعة هذه ؟ قال : إني شئت فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت التأذين ، فلم أزد أن توضأت ، فقال : والوضوء أيضاً وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل ؟ .

قال الحافظ في الفتح : وقد سُمي ابن وهب وابن القاسم في روايتهما عن مالك في الموطأ الرجل المذكور عثمان بن عفان ، وكذا سُمي معمر في روايته عن الزهري عند الشافعي وغيره .

وقول سيدنا عمر : أية ساعة هذه ؟ : استفهام المراد منه الإنكار ، وكأنه يقول : لم تأخرت إلى هذه الساعة ؟ وفي رواية مسلم : فرض عنه عمر فقال : ما بال رجال يتأخرون بعد النداء ؟ ومراد سيدنا عمر رضي الله عنه التلميح إلى ساعد التذكير التي وقع الترغيب فيها وأنها إذا انقضت صوت الأذان للصلاة ، وفهم سيدنا عثمان ذلك فبادر إلى الاعتذار عن التأخر .

وقوله : والوضوء أيضاً ؟ ، المعنى : ما اكتفيت بتأخير الوقت وتغيرت القضية حتى تركت الغسل واقتصرت على الوضوء ؟

قال الإمام الشافعي رحمه الله في (الرسالة) بعد أن أورد حديثي ابن عمر وأبي سعيد : ... وأمره بالغسل يحتمل معنيين : الظاهر منهما أنه واجب ، فلا تجزئ الطهارة لصلاة الجمعة إلا بالغسل ، كما لا يجزئ في طهارة الحب غير الغسل ، ويحتمل واجب في الاختيار والأخلاق والنظافة .

لم استدل للاحتيال الثاني بقصة عثمان مع عمر التي تقدمت قال : ... فنما لم يترك عثمان الصلاة للغسل ، ولما لم يأمره عمر بالخروج للغسل - دل ذلك على أنهما قد علما أن أمر رسول الله ﷺ بالغسل على الاختيار ، لا على أن لا يجزئ غيره

في الخلف : وعلى هذا الجواب عول أكثر المصنفين في هذه المسألة كتاب خزيمه والطبري والبخاري وابن حبان وابن عبد البر وهم جرا ، وزاد بعضهم فيه أن من حضر من الصحابة وافقهما على ذلك فكان إجماعاً منهم على أن الغسل ليس شرطاً في صحة الصلاة وهو استدلال قوي ، وقد نقل الخطابي وغيره الإجماع عن أن صلاة الجمعة بدون الغسل مجزئة .

ومن سبل أيضاً على أن الأمر بالغسل للجمعة ليس على توجب ما روته سيدة عثمة وابن عمر وابن عباس وأبو سعيد في الوجه الذي من أجله أمروا بغسل يوم الجمعة أول ما أمروا به ، فمن ذلك حديث ابن عمر ، قال : « كان من يقول في شعائهم ، فإذا كانت الجمعة جاءوا وعليهم ثياب ذرّة وألوانا متغيرة ، قال : فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فقال : من جاء منكم الجمعة فيغتسل ، ويتخذ ثوبين لجمعه سوى ثوبي مهنته » .

(ومعنى ذرّة : وسخة ، ومهنته : عمله) .
قال إمام مالك والثوري وجماعة من أهل العلم : إن غسل الجمعة سنة مؤكدة . لأن قد عمل بها رسول الله ﷺ وخلفاء هذه والمسلمون ، واستحبوها وندبوا إليها ، وهذا سبيل السنن المؤكدة .

فوائد هامة^(١)

١ - ذهب الشافعي وأبو حنيفة إلى أن من اغتسل للجمعة بعد الفجر أجره من غسبه ، وهو قول الحسن البصري والنخعي ، وبه قال أحمد وإسحق وأبو ثور والطبري ، وهو قول ابن وهب صاحب مالك . ولكن الغسل قبل الذهاب بوقت يسير أفضل .

٢ - قال الشافعي : الغسل للجمعة سنة ، ومن اغتسل للفجر للجنابة ومجره أجره ، وإن اغتسل لها - أي للجمعة - دون الجنابة وهو جنب لم يجزئه .

(١) منقولة من كتاب (الاستذكار) لابن عبد البر .

٣ - قال الأثر : سمعت أحمد بن حنبل مقل عن الغسل لم أحدث من يكفيه الوضوء ؟ فقال : نعم ولم أسمع فيه أهل من حديث ابن أبي شيبة ما أخرجه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبيه وله صحبة : أنه كان يغسل يوم الجمعة لم يُحدث فيوضاً ولا يمد الغسل .

قال الطحاوي : فهذا يدل على أن الغسل لليوم لا للرواح إلى الجمعة .

٤ - اختلف العلماء فمن اغتسل للجمعة وهو جنب ولم يذكر جنابه :

فذهب طائفة منهم إلى أنه يجزئ من غسل الجنابة وإن كان ناسياً لها في حين الغسل . ومن ذهب إلى ذلك ابن كنانة وأشهب وابن وهب وابن نافع ومحمد بن مسلمة ، وهؤلاء من أصحاب مالك ، وبه قال المزي صاحب الشافعي .

وقال آخرون : لا يجزئ ذلك من غسل الجنابة حتى يموى غسل الجنابة ، ويكون ذاكرةً لجنابته في حين غسله قاصداً إلى الاغتسال منها . ومن ذهب إلى هذا ابن القاسم ، وحكاة ابن عبد الحكم عن مالك ، وهو قول الشافعي وأكبر أصحابه ، وبه قال داود ، وهو الراجح ، والله أعلم .

٥ - قال الأثر : قلت لأبي حنبل : رجل اغتسل يوم الجمعة من جنابة يموى به غسل الجمعة ، فقال : أرجو أن يُجزئه مهياً جميعاً . قلت له : يُروى عن مالك أنه قال : لا يُجزئه عن واحد منهما ، فأنكره .

قال أبو بكر بسنده عن ابن عمر أنه كان يغتسل للجمعة والجنابة غسلًا واحداً .

هل المسجد شرط في صحة الجمعة ؟

ذهب جمهور العلماء إلى أنه لا يُشترط لصحة الجمعة أدائها في المسجد .

قال ابن قدامة الحنبلي في المغني : لا يُشترط لصحة الجمعة البيان بل يجوز إقامتها فيما قاربه من الصحراء .

وفي جرح سبوي الشافعي : لا يشترط إقامتها في مسجد ، ولكن يجوز في ساحة مكشوفة بشرط أن تكون داهية في قرية أو البدة معبودة أو حصة من صومها خارج سدة لم تصح بلا خلاف سواء كانت بقرب البدة أو بعيداً ، وسواء صومها في ركن أم ساحة . ولو أهدمت أبنية قرية أو البلدة داهية هبطت على عمارتها لم يمتهم الجمعة فيها سواء كبر في مضاف ومظال أم لا ، لأنه من السبحة .

قال الشوكاني في (نيل الأوصال) : قال أبو حنيفة والشافعي وسائر جنسهم : إن المسجد ليس شرطاً لإقامة الجمعة إذ لم يغسل دليل وجوبها ، وبهذا لما روي أنه صلى الله عليه وسلم في صلاة الجمعة في غير المسجد ، وقد روي ذلك أصحاب سائر مذاهب من سبحة .

في المالكية فذهبوا - كما في الشرح الكبير - إلى أن المسجدية شرط وجوب وصحة معاً أو شرط صحة فقط ، ولا تصح في برج محيط بأحجار من غير . لأنه لا يثبت مسجد إذ لا مسجد له بناء ويستغنى عن المعتد .

القراءة في صلاة الجمعة

عن عبيد الله بن أبي أوفى أن مروان بن الحكم استخفى أبا هريرة على سبحة ، فعسى بهم أبو هريرة الجمعة ، فقرأ (سورة الجمعة) في الركعة الأولى . وفي رواية (إذا جاءك المنافقون) ، فقال عبيد الله : فلو تصرف أبو هريرة سبحة من حبه فقرأت له . لقد قرأت سورتي سمعت عن أبي طالب يقرأ بها في صلاة . فقال أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بهما .

أخرجه مسلم في صحيحه .

قال النووي : في الحديث استحباب قراءة بهما بكسهما فيهما ، وهو مذهبه ومذهب آخرين . قال العلماء : والحكمة في قراءة الجمعة اشتغالها على وجوب الجمعة ، وغير ذلك من أحكامها ، وغير ذلك مما فيها من القواعد وأحكام على

التوكل والذكر وغير ذلك . وقراءة سورة السفين تنويح حضريه منه ونسبهم
عن التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد لأهم ما كانوا يجتمعون في مجلس أكثر من
اجتماعهم فيها .

- أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الجمعة بالجمعة بالجمعة فيحرض به المؤمنين في الثانية بسورة
- فحين فينزع المناقيل . »

- وأخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال : « كان رسول الله ﷺ يقرأ في
الحسين في الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية . قال : وإذا
جمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضاً في الصلاتين . »

قال النووي : « فيه استحباب القراءة بهما . وفي الحديث الآخر القراءة
في العبد (بقاف والقرئت السامة) وكلاهما صحيح ، فكان النبي ﷺ في وقت
يقرأ في الجمعة (الجمعة والمناقيل) وفي وقت (سبح وهل أتاك) وفي وقت يقرأ
في العبد (قاف والقرئت) وفي وقت (سبح وهل أتاك) . »

وهذا قول مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبي ثور .
وقال أبو حنيفة وأصحابه ورواه ابن أبي شيبة في المصنف عن الحسن بن علي
أنه يقرأ الإمام بما شاء .

وقال النووي : « لا يعتمد الإمام أن يقرأ في الجمعة بالسورة التي جاءت في
الآثار . ولكن يعتمد ذلك أحياناً ويدع أحياناً . »

حكم إدراك ركعة من صلاة الجمعة

قال الإمام مالك في موطنه عن ابن شهاب أنه كان يقول : من أدرك من صلاة
الجمعة ركعة فليصل إليها أخرى . قال مالك : قال ابن شهاب : وهو السنة .
قال مالك : وعلى ذلك أدرك أهل العلم بيئتنا ، وذلك أن رسول الله ﷺ
قال : « من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة . »

وهكذا قال الثوري وأصحابه والثوري وأحمد بن حنبل والأورعي وزفر بن محمد
ومحمد بن الحسن - في الأشهر عنه - والليث بن سعد وأحمد بن حنبل ، قال
من أدرك ركعة من صلاة الجمعة مع الإمام صلى الله عليه وسلم ، ومن لم يدرك
ركعة تامة معه صلى أربعاً .

قال أحمد بن حنبل : إذا قاته الركوع صلى أربعاً ، وإذا أدرك ركعة صلى
أخرى ، وروى ذلك عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ منهم ابن مسعود
وابن عمر وأنس .

وفي المسألة قول آخر : قال أبو حنيفة وأبو يوسف : إذا أحرز في الجمعة من
سلام الإمام صلى ركعتين . روى ذلك عن الشعبي وهو قول حاكم ومحمد بن
قال داود . وحجته قوله عليه الصلاة والسلام : « ما أدرككم فصنوا ، وما فاتكم
فأتوا » قالوا : ومن أدرك من الصلاة جزءاً قبل السلام فهو مأثور بالدخول فيه
مع الإمام . ومعلوم أن الذي قاته ركعتين فإنه يقضي ما فاتته ، وذلك ركعتان لا أربع .

قال ابن عبد البر : « في قوله ﷺ : من أدرك ركعة من صلاة فقد أدرك
الصلاة . » وقد أجمعوا أن إدراكها يدرك ركوع مع الإمام - دليل على أن من
لم يدرك من الصلاة ركعة فلم يدركها . هذا مفهوم الخطاب ، ومن لم يدرك
نومه أن يصلّي ظهر أربعاً . وقد حمل رسول الله ﷺ الذي لا يدرك منه ركعة
تامة في حكم من يدرك منها شيئاً . وهو أولى ما قبل في هذا باب ، والله يعرف
للصواب . »

والخلاصة في مسألة : أن من دخل المسجد يوم الجمعة ونقوم يصلي فوجد
أدرك معهم ركعة كاملة فقد أدرك صلاة الجمعة فيأت بركعة أخرى . وإذا
لم يدرك ركعة كاملة صلى أربعاً لأنه لم يدرك بذلك صلاة الجمعة ، وهذا قول
أكثر أهل العلم .

قاعدة :

من زحف يوم الجمعة أو أحدث والإمام يخطب فخرج ولم يرجع حتى فرغ
الإمام من صلاته فإنه يصلّي أربعاً .

ما جاء في سنة الجمعة البعيدة

- أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً » .

زاد عمرو في روايته : قال ابن إدريس قال سهيل : « فإن عجل بك شيء
فصل ركعتين في المسجد وركعتين إذا رجعت » .

- وأخرج مسلم عن سالم عن أبيه « أن النبي ﷺ كان يصل بعد الجمعة
ركعتين » .

قال النووي : « في هذه الأحاديث استحباب سنة الجمعة بعدها واخْتِ
عليها ، وأن أقلها ركعتان وأكملها أربع ، فنبه ﷺ بقوله : إذا صلى أحدكم بعد
الجمعة فليصل بعدها أربعاً على اِخْتِ عليها ، فأقضى بصيغة الأمر ، ونه بقوله ﷺ
في رواية : « مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَصَلِّاً » على أنها سنة ليست واجبة ، وذكر الأربع
لفضيلتها ، وفعل الركعتين في أوقات بيان لأن أقلها ركعتان ، ومعلوم أنه ﷺ
كان يصل في أكثر الأوقات أربعاً لأنه أمرنا به وحثنا عليه ، وهو أرغب في
الخير وأحرص عليه وأولى به ﷺ » .

اجتماع العيد والجمعة في يوم واحد

ذهب الحنفية والمالكية إلى أنه إذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد تؤدى
الصلاتان كل في وقتها المشروع ، فلا تسقط إحداها بالأخرى .

وذهب الشافعية إلى عدم سقوط الجمعة عن أهل البلد باتفاق أئمة المذهب .
فيجب عليهم أدائها في وقتها ، وأداء صلاة العيد في وقتها . ولشافعية في أهل
القرى الذين تزلزمهم الجمعة لبثوهم نداء البلد إذا حضروا فصلوا العيد في البلد
وجهاً ، أصحابها سقوطها ، فلا تجب عليهم الجمعة لما رواه البخاري عن عثمان
ابن عفان رضي الله عنه أنه قال في خطبته : « أيها الناس ، قد اجتمع عيدان في
يومكم هذا ، فمن أراد من أهل العالية (قرية قرب المدينة) أن يصل معنا الجمعة

فليصل . ومن أراد أن يصرف فليصرف » ولم ينكر عليه أحد من صحابة ،
ولأنهم قد فعلوا بالبلد حتى يصلوا الجمعة فاتهم التيهو للعبد ، وإذا خرجوا إلى
قراهم لم عادوا للجمعة كان عليهم في ذلك مشقة ، والجمعة تسقط بالمشقة .
وذهب أحمد إلى عدم وجوب الجمعة على أهل البلد والقرى في هذا اليوم ،
بأن لم يصلوا الجمعة وجب الظهر ، لحديث زيد بن أرقم وقد سأله معوية : هل
شهدت مع رسول الله ﷺ عيدين اجتماعاً ؟ قال : نعم ، صلى العيد نور النهار ،
ثم رخص في الجمعة فقال : « مَنْ شَاءَ أَنْ يَجْمَعَ فَلْيَجْمَعْ » وفي رواية : « مَنْ شَاءَ
أَنْ يَصِلَ فليصل » رواه أحمد وأبو داود .

كراهية إفراد يوم الجمعة بالصوم وليلته بالقيام

- عن محمد بن عباد قال : سألت جابرأ رضي الله عنه : « أنى نرى ﷺ
عن صوم يوم الجمعة ؟ قال : نعم ، زاد غير أنى عاصم » يعنى أن يفرد صومه .
رواه البخاري في صحيحه .
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يصوم
أحدكم يوم الجمعة إلا يوم قبله أو بعده » رواه البخاري .

- وعن جويرية بنت جارث رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عيها يوم
جمعة وهي حائضة فقار : « أصمت أمس ؟ قالت : لا . قال : تريد أن
تصومي عدا ؟ قالت : لا . قال : ففطري » رواه البخاري .

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا تصوموا يوم
جمعة وحده » رواه أحمد في مسنده .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يوم الجمعة
يوم عيد . فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده » رواه أحمد .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحضروا ليلة
جمعة بغيم من بين النيران ، ولا تحضروا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام ، إلا أن
يكون في صوم بصومه أحدكم » رواه مسلم .

الفصل الرابع

سنن وآداب تتعلق بصلاة الجمعة ويوم الجمعة

وهي عشر من خمسة عشر :

١ - الاستعداد لها

أن يستعد لها من يوم الخميس وفي ليلة الجمعة ، بالتنظيف ، وغسل ثياب ، وإعداد ما يصححها ، ويخرج قلبه من لأشغال التي تشغله من ليكنوع .
قال بعض السلف : يؤق الناس نصيباً من الجمعة من نظفها وبعدها من لأمس . وأحفظ نصيباً من إذا أصبح يقول : ما هذا يوم ؟

٢ - قراءة سورتي السجدة والإنسان

قراءة سورة ﴿ ألم تنزيل ﴾ السجدة و ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ في صلاة فجر يوم الجمعة . لتحديث الذي أخرجه مسلم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ﴿ ألم تنزيل ﴾ السجدة وهل أتى على الإنسان حين من الدهر ... الحديث .
قال ابن القيم رحمه الله :

« ويحسن كثير ممن لا علم عنده أن المراد تخصيص هذه الصلاة بسجدة واحدة ويسمونها سجدة الجمعة ، وإذا لم يقرأ أحدهم هذه السورة استحسب قراءة سورة أخرى فيها سجدة . ولهذا كره من كره من الأئمة المتأخرة على قراءة هذه السورة في

- وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان منك منضوفاً من الشهر فليصم يوم الخميس ولا يصم الجمعة فإنه يوم طعام وشراب وذكر » رواه ابن أبي شيبة في مصنفه .

قال ابن حجر في الفتح : « وهذه الأحاديث تفيد النهي المطلق في حديث جابر ونزهد الزيادة التي تقدمت من تفيد الإصلاق بالإنفراد ، ويؤخذ من الاستثناء جوازه لمن صام قبله أو بعده ، أو اتفق وقوعه في أيام له عادة بصومها كمن يصوم أيام البيض ، أو من له عادة بصوم يوم معين كيوم عرفة فوافق يوم الجمعة ، ويؤخذ منه جواز صومه لمن نذر يوم فليصم زهد مثلاً أو يوم شفاء فلان » اهـ .

وهذا قول أكثر أهل العلم : أنه يكره لإفراد يوم الجمعة بصوم أو قيام ، وذهبوا إلى أن النهي للكرامة لا للتحريم ، إلا إذا صام يوماً قبله أو يوماً بعده ، أو وافق عادة له ، أو كان يوم عرفة أو عاشوراء ، فإنه حينئذ لا يكره صيامه .

فجر الجمعة دفعاً لتوهم الجاهلين . وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : إن كان النبي ﷺ يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة لأشياء تقتضها ما كان ويكون في يومها ؛ فإنهما اشتملتا على تخلل آدم وعن دأثر المعاد وحشر العباد ، ومثل يكون يوم الجمعة ، وكان في ذواتهم في هذا اليوم تذكير بأمة به كان فيه ويكون ، والسجدة جاءت تبعاً ليست مقصورة حتى يقصد المصلّي قراءتها حيث انفتحت .

٣ - الاغتسال

لاغتسال في يومها ، كما جاء في الأحاديث الصحيحة ، فإذا أصبح يوماً بانفصل بعد طلوع الفجر ، وإن كان لا يُكْرَفُ قُربُه إلى الرواح أحب ليكون أقرب عهداً بالنظافة ، فالغسل يومها مستحب استحباباً مؤكداً .
ومن اغتسل للنجابة فليغسل الماء على يده مرة أخرى عن نية غسل الجمعة . فإن اكتفى بغسل واحد حرّاه ، وحمل له الفضل إذا نوى كميلاً ودخل غسل الجمعة في غسل النجاسة . ومن غسل ثم أحدث نوصاً ولم يغسل غسله . ولا حدث أن يغتسل عن ذلك .

٤ - لبس أحسن الثياب

يُستحب أن يلبس فيه أحسن الثياب التي يقدر عليها ، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أيوب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغتسل يوم الجمعة ، ومضى من طيب إن كان له ، ولبس من أحسن ثيابه . ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي المسجد ، ثم يركع إن بدا له ، ولم يؤذ أحداً ، ثم أخصت إذا خرج إمامه حتى يصل ، كانت كفارة لما بينهما » أخرجه أحمد بإسناد حسن .
وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن سلام أنه سمع النبي ﷺ يقول على المنبر في يوم الجمعة : « ما على أحدكم أن يشتري ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبين مهنته » .
رواه أبو داود بإسناد صحيح

قال الشافعي رحمه الله : « من نظف ثوبه في همة ، ومن طاب ريحه زاد عنه .
وأما الكسوة فالحبها البض من الثياب ، ولا يلبس ما فيه شهرة .

٥ - التذكير في الذهاب للصلاة

اليكور إلى الجمع ، وفضل اليكور عصب . وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعاً متوضعاً ذوياً للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة . فصدداً للمبادرة إلى جواب نداء سبيل مسجده وتعالى إلى الجمعة إياه ، والمبادرة إلى مغفرته ورضوانه .

وقد قال ﷺ : « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب ثلثة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبش أقرن . ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة . فإذا خرج الإمام طويت صحف وزفعت الأقاليم وحنمت سلاسله عند سبيل يستمعون الذكر ، فمن جاء بعد ذلك فإنه جاء ليجزئ نصلاً يس له من الفضل شيء » . والساعة الأولى إلى صوع الشمس ، والثانية إلى ارتدعها ، والثالثة إلى اسباطها حين ترمض الأقدام ، والرابعة والخامسة عند الضحى الأعلى إلى زوال وفضلهما قليل ، ووقت زوال حق الصلاة ولا فصل فيه . حكاية حرار في الإحياء .

قال أبو حامد لغزالي : « وكان يرى في القرن الأول سحراً أو بعد غفر الطرقات الممدودة من الناس يمشون في السُّرْح ويزدحمون بها إلى الجامع كأنها عيد ، حتى اندرس ذلك ، فقليل : أول مدعة حدثت في الإسلام ترك اليكور إلى الجامع . وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يكرّون إلى البيع والكتائس يوم السبت والأحد ؟ وضلاب أسيا يكرّون إلى رحاب الأسواق لبيع واستراء والربح ، قيم لا يسابقهم ضلاب لاخرة ؟ »

ويقال : إن الناس يكونون في قريتهم عند النظر إلى وجه الله تعالى يوم قيامه على قدر بكورهم إلى الجمعة . فقد ذكر الغزالي في معجمه عن أبي عبيد قال :

قال عبد الله بن مسعود : « سارعوا إلى الجمعة فإن الله عز وجل يترز لأهل الحجة
 في كل جمعة في تكبير من كالفور ، فيكون منه في القرب على قدر تسارعهم إلى
 الجمعة ، فيحدث الله سبحانه لهم من الكرامة شيئاً لم يكونوا رأوه قبل ذلك ، ثم
 يرجعون إلى أهلهم فيحدثونهم مما أحدث الله لهم . قال : ثم دخل عبد الله المسجد
 فإذا هو برَجُئِي ، فقال عبد الله : رجلان وأنا الثالث ، إن بشأ الله ببارك في الثالث . »

٦ - عدم تخطي رقاب الناس

في هيئة الدخول : ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين يدي انفسى ،
 والتكبر يسهل ذلك عليه ، فقد ورد لى أكيد عن غطى الرقاب . وإذا كان
 الصف الأول متروكاً خالها فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم صُفِّعُوا خلفهم
 وتركوا موضع الفضيلة . قال الحسن : « تخطوا رقاب الناس الذين يمتدون عن
 أبواب الخبز مع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم . »

٧ - الحرص على الصف الأول

أن يغتلب الصف الأول ، لقول النبي ﷺ : « هو يوم يعمد الناس ما في السماء
 و الصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستثموا عليه لاستثموا . »
 روى البخارى ومسلم عن أبي هريرة
 قال الحافظ في الفتح (١) :

« والنداء هو الأذان . قال الطيبى : أطلق مفعول بعد وهو ما وده بين
 الفضيلة ما هو ليفيد ضرباً من المبالغة ، وأنه مما لا يدخل تحت الوصف والإطلاق
 إنما هو في قدر الفضيلة وإلا فقد بُيِّنَتْ في الرواية الأخرى بالخبر والبركة . »

و مراد بالصف الأول ما على الإمام مطلقاً ، وقيل : أول صف دم على الإمام ،
 لا ما تخلله شيء كمنصورة ، وقيل : المراد به من سبق إلى الصلاة ولو صلى آخر
 الصفوف : قاله ابن عبد البر ، واحتج بالاتفاق على أن من جاء أول الوقت

(١) فتح البارى (٢ / ٩٦)

وه يدخل في نصف الأول فهو أفضل من جاء في آخره وزاحم إليه ، وبنا حجة
 له في ذلك كما لا يخفى .

قال النووي : « القول الأول هو الصحيح المختار وبه صرح المحققون ،
 والقولان الآخران غلط صريح . » اهـ .

- وعن نعمان بن بشير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
 « إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول ، أو الصفوف الأولى . »

رواه أحمد بن حنبل

قد العلماء : وفي حرص على الصف الأول - أيضاً - المسارعة إلى خلاص
 النعمة . وسبق بدخول المسجد ، والقرب من الإمام واستماع قراءته واتممت منه ،
 وتفتح عليه . والتبليغ عنه . والسلامة من احتراق المارة بين يديه ، وسلامة البقال
 من رؤية من يكون قدسه ، وسلامة موضع سجوده من أذيال المنصير

٨ - قطع نفل الصلاة عند صعود الإمام

أن يقطع نفل من صلاة والذكر عند خروج الإمام ويستغل بإجابة مؤذن ثم
 يسبح خفية . هذا إن كان داخل المسجد ، أما إذا دخل المسجد والإمام يخطب
 فلا يسبح حتى يقبل ركعتين يتخوّر فيهما ، لتحدث الصحيح الذي روى مسلم
 والترمذى والبيهقى وغيرهم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « جاء بك ذلك
 الفضل ورسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فقال له لى ﷺ : صليت ؟
 قال : لا . قال : صلي ركعتين وتخوّر فيهما . »

٩ - الصلاة بعد الجمعة

أن يصل السنة بعد الجمعة إن شاء ركعتين وإن شاء أربعاً ، للحدث الذى
 أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله
 ﷺ : « من كان منكم مفصلاً بعد الجمعة فليصل أربعاً . »

وعن دفع عن عبد الله بن عمر أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف لمسجد سجدتين في بيته ، ثم قال : كان رسول الله ﷺ يصنع ذلك .

ففي هذه الأحاديث استحباب سنة الجمعة بعدها واغتسل فيها ، وأن أفلها ركعتان وأكملها أربع .

١٠ - الإقامة في المسجد بعد الصلاة

أن يقيم في المسجد حتى يصل العصر ، وإن أقام إلى المغرب فهو أفضل يحصل على ثواب المتكف ، فإن خاف الخوض فيما لا ينهي وأفضل أن يرجع إلى بيته ذكراً لله عز وجل ، مفكراً في آلائه . شاكراً لله تعالى عن نونيته ، حالاً من تقصيره ، مراقباً لليلة ولسانه ، إلى غروب الشمس حتى لا تقونه ساعة الشريفة . ولا ينبغي أن يتكلم في المسجد يحدث الدنيا ، قال ﷺ : يأتي عن الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دينهم بين سنان فيهم حجة . فلا تجالسوهم .

قال حافظ العراق : أخرجه البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسل . وأسنده خاكم من حديث أنس وصححه إسناده .

١١ - تحري ساعة الإجابة

أن يراقب الساعة الشريفة التي في يوم الجمعة بإحضار القلب وملازمة الذكر .

واختص في هذه الساعة ، ففي أفراد مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه أنها ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة . وفي حديث آخر صحيح عن جابر أنها آخر ساعة بعد العصر . وفي حديث أنس رضي الله عنه : التمسوها ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس .

قال ابن القيم في الزاد : وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال : الساعة التي شكر يوم الجمعة ما بين صلاة عصر إلى غروب الشمس . وكان سعيد بن جبير إذا وصل العصر بكلم أحداً حتى تقرب الشمس . وهذا هو قول أكثر السلف وعليه أكثر الأحاديث . وبالله قول بأنها ساعة صلاة ، وبغية الأقوال لا دليل عليها . وعندنا أن ساعة الصلاة ساعة يرجى فيها الإجابة أيضاً فكلام ساعة إجابة . وإن كانت ساعة مخصوصة هي آخر ساعة بعد عصر . فهو ساعة معينة في اليوم لا تنفذه ولا تتأخر ، وأما ساعة الصلاة فتابعة لصلاة تقدمت أو تأخرت . لأن اجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وبتناهم من الله تعالى تأثيراً في الإجابة . فساعة حتى عنهم ساعة يرجى فيها الإجابة . وعلى هذا تنفق الأحاديث كلها ويكون من ﷺ قد حصل منه على الدعاء والابتهاج إلى الله تعالى في هاتين الساعتين .

١٢ - التكاثر من الصلاة على النبي ﷺ

أن يتكلم من الصلاة على النبي ﷺ في هذا اليوم في ليلة الجمعة أيضاً . لقوله ﷺ : « تكثروا على من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فمن فعل ذلك كثرت عليه » شيعته وشيعته يوم الجمعة . وروى جابر بإسناد حسن .

ويبين لإمام ابن القيم رحمه الله حكمة في ذلك فيقول : « وسورة ﷺ في هذه الأيام يوم الجمعة ليلة الجمعة في هذا اليوم مرة يستحضر مع حكمة أخرى وهي أن كل خير نالته أفه في الدنيا والآخرة فيها نالته عن يده . فجميع ما نالته من خير في الدنيا والآخرة . فاعظم كرمه لحسنه فإني تفصل يوم الجمعة ، فإن فيه غنم من ماله ونصروهم في الجنة . وهو يوم عزيز عليه إذ دخل الجنة . وهو عيد في الدنيا . ويوم فيه سمعته لله تعالى حسنة وحسنه ولا يرد سائله . وهذا كله في عرفه وحصل منه بسببه وعلى يده . فمن شكره وحده وأداء التقيل من حقه ﷺ أن شكر من صلاة عليه في هذا اليوم وبسته .

صلى الله عليكم وكرم الهدى ، ما هيئت نسائم . وما ناحت على الأثلج حمام

شعر^(١) :

أعمر ، عليه للتبوة عساتم
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه
وشق له من اسمه ليحمله
نبي أنانا بقدر بأس وفيرة
فأمسى سراجاً منيراً وهادياً
وأندرتنا ثاراً ، وبشر جنة
وأنت إله الخلق ربى وخالق
تعالى رب الناس عن قول من دعا
لك الخلق والنعماء والأمر كله

من الله مشهودة بلوخ ويشهد
إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
قدو العرش عمود وهذا محمد
من الرسل والأوتان في الأرض أميد
بلوخ كما لاخ الصقيل الشهد
وعلمنا الإسلام ، فاقه نخمد
بذلك ما عثرت في الناس شهد
سواك إلها ، أنت أغنى وأجيد
فإياك نستعبد وإياك نعبد

١٣ - قراءة سورة الكهف

أن يقرأ سورة الكهف في ليثها أو يومها لقوله **مُتَّفِقٌ** : من قرأ سورة كهف
في يوم جمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين ، روى ذلك وصححه
وقال صاحب أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : من قرأ سورة كهف يوم
جمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق .
رواه إمام أحمد بن حنبل بن منصور في سننه
ويستحب أن يكثر من قراءة القرآن في يوم الجمعة ، وأن يقرأ في ليلة
الجمعة في قدر .

١٤ - التصديق في يوم الجمعة

أن تصدق في يوم الجمعة بما أمكن ، ولكن صدقته تخرج من جيبك .

(١) حسان بن ثابت رضي الله عنه .

قال ابن القيم في الزاد : تصدقة فيه منزلة عليها في سائر الأيام ، والتصدق فيه
بالنسبة إلى سائر أيام الأسبوع كالصدقة في شهر رمضان بالنسبة إلى سائر
الشهور .

ثم قال : وشاهدت شيخ الإسلام بن تيمية قدس الله روحه إذا خرج إلى
الجمعة يأخذ ما وجد في بيت من حرام أو غيره فيصدق به في طريقه سراً .
وسمعت يقول : إذا كان الله قد أمره بصدقة بين يدي مناجاة رسول الله ﷺ
فبصدقة بين يدي مناجاة فضل وأول الفضيلة .

وقال أحمد بن زهير بن حرب : حدثني أبي حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد
عن ابن عباس قال : أجمع أبو هريرة وكعب ، فقال أبو هريرة : إن في الجمعة
ساعة لا يرد فيها رجل مسلم في صلاة يسأل الله عز وجل شيئاً إلا آتاه إياه .
فقال كعب : أنا أحدثكم عن يوم الجمعة ، إنه إذا كان يوم الجمعة فذت له
السموات والأرض والبحر والجن والشجر والخلق كلها إلا بن آدم
والشياطين . وحفت ملائكة أبواب السموات فيكون من جاء الأول فذبح حتى
يخرج إليه . وقد خرج إمام صديقه صحفهم . فمن جاء بعد جاء لغير صلاة
وما تكف به عمل ، وحل على كل حده أن يغتسل يومئذ كاعتساله من حنابة ،
والتصدق به أعظم من صدقة في سائر الأيام ، وه تطلع الشمس يومئذ حرة على
مثل يوم الجمعة . قال ابن عباس : هذا حديث كعب وأبي هريرة ، وإن
كان لأحمد بن حنبل يروي عنه ، والحديث قال عنه علماء الحديث : إسناده صحيح

١٥ - استحباب التفرغ لأعمال الآخرة

يستحب أن يُفعل يوم الجمعة لأعمال الآخرة ، ويُكف عن جميع أعمال
الدنيا منه سبحانه وتعالى جعل لأهل كل بلدة يوماً يتفرغون فيه لعبادة ،
ويتخلون فيه عن أعمال الدنيا . فيه يوم الجمعة يوم عبادة ، وهو في الأيام كشهر
رمضان في الشهور ، وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان .

ولهذا مَنْ صَحَّ له يوم جمعة وسَلِمَ سمَت له سائر جمعة ، ومَنْ صَحَّ له رمضان وسَلِمَ سلمت له سائر سنته ، ومَنْ صَحَّت له حجة وسلمت له صَحَّ له سائر عمره ، فيوم الجمعة ميزان الأسبوع ، ورمضان ميزان عام ، والحج ميزان العمر .

قال آدم بن أبي إياس : حدثنا شيبان أبو معاوية عن عاصم بن أبي نجران عن أبي صالح عن كعب الأحبار قال : « إن الله عز وجل اختار شهر رمضان ، واختار الأيام واختار يوم الجمعة ، واختار الليالي واختار ليلة القدر ، واختار الساعات واختار ساعة الصلاة ، والجمعة تُكْفَر ما بينها وبين الجمعة الأخرى وتزبد ثلاثاً ، ورمضان يُكْفَر ما بينه وبين رمضان . والحج يُكْفَر ما بينه وبين الحج ، والعمرة تُكْفَر ما بينها وبين العمرة ، ويموت رجل بين حنين : حسنة قضاها ، وحسنة ينتظرها ... » الحديث .

شعر (١) :

عَبَّيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ لَا تَرْكُوهَا	فَبِأَيِّ تَقْوَى تَقْوَى وَتُؤَدُّ وَتُحَدِّدُ
يَاسُ التَّقَى خَيْرُ الْمَلَابِسِ كُلِّهَا	وَأَتَى بِسَاسٍ فِي نُوحُودٍ وَأَحْمَلُ
فَمَا أَحْسَنَ التَّقْوَى وَأَهْدَى سَبِيلُهَا	بِهَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ مَا كَانَ يَحْمَلُ
فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بَادِرْ إِلَى التَّقَى	وَسَارِعْ إِلَى الْخَيْرَاتِ مَا دُمْتَ مُنْهَلُ
وَكَثِيرٌ مِنَ التَّقْوَى لِيُحْمَدَ عَلَيْهَا	مَنْ فِي السَّجَرِ دَرٌّ مَوْفٍ تَسْرُ
وَقَدْ لَمَّا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ فُتْدٌ	عَدَا سَوْفَ تُجْزَى الَّذِي سَوْفَ تُعْمَلُ
وَأَحْسِنُ وَلَا تُهْمِلْ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا	فَدَارَ بِنَى الدُّنْيَا مَكَانَ السُّرْحَانِ
وَأَذْ فُرُوضِ الَّذِينَ وَاقِفِينَ أَدَانَهَا	كَوَامِلُ فِي أَوْقَاتِهَا ، وَتَقْفُلُ
وَسَارِعْ إِلَى الْخَيْرَاتِ لَا تُهْمِلْهَا	فَبُذِّقَ بِأَيِّ أَهْلِكَ مَا أَنتَ مُهْمِلُ
وَلَكِنْ سَجْزَى بِالَّذِي أَنتَ عَامِلُ	وَعَنْ مَا مَضَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سَمْسَلُ
وَلَا تُفْلِكَ الدُّنْيَا فَرُوكَ ضَامِنُ	يَرْزُقُ بَرَاءَةَ ضَامِنُ مُتَكَلِّفُ

(١) من كتاب « المناهل الحسان » للشيخ عبد العزيز أحمد السلمان .

وَدُنْيَا فَاعْرِضْهَا وَأُخْرَا وَذُنْهَا
فَمَنْ تَرَى الدُّنْيَا جَهَنَّمَ وَمَنْ يَنْفَعُ
وَنَدَانَهَا وَالْجَنَّةُ وَالْجَنَّةُ وَالْجَنَّةُ
فَمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عَمْرُهُ
وَيَتَوَلَّى ذُرًّا لَا أَثِيرَ لَهُ يَفُتْ
وَيَسْقَى زُهْنًا بِالْعَرَابِ يَفُتْ حَتَّى
يُهْلِكَ بِأَهْوَى يَسْتَسْلِفُ بِمَعْصِيَتِهِ
وَيُجْعَلُ بَعْدَ مَوْتِهِ نَشْرًا سَحَابُ
وَحَشْرٌ يَسْتَسْلِفُ الْفُتْلَ مِنْهُ هَوَاهُ
وَسَارِعٌ تَقْفُلُ فِي لَهْفِهِ سَلَامُ
شَرَابٍ ذَوِي الْإِحْرَامِ بِهِ حَبِيبُهَا
خَمْبَةٌ وَغَشَقٌ وَآخِرُ مَشْهُ
يَوْمُهُ هَوَاهُ مِنْ هَوَاهُ وَلَا يَسْرُ
وَفِي يَوْمِهِ يَفُتْ دَوْمًا مَعْدُ
عَبَّيْ صِرَافٌ مُنْخَضِلٌ وَمَسْبُورُ
وَفِيهِ كَلَامٌ لَعَلَّكَ تَسْمَعُ
فَلَا تَسْبِ بِمَعْنَاهُ مَا تَقْدِرُ
فَهَبْ حِرَاءَ غُرُبٍ عَلَى رَاغِي
أَعُوذُ بِرَبِّي مِنْ هَؤُلَاءِ وَعَدِيدِ
وَمِنْ حَالٍ مِنْ فِي زَاوِيَرِيمِ مَعْدُ
وَحَدَّثَ عَذَابٌ زُحْرَفَتْ لَهُ رُيُوسُ
بِأَيِّكَ مَ تَهْوَى لِمَوْنٍ وَتَسْتَهْوِي
مَلَابِسُهُ فِي حَرِيرٍ وَمُسْتَسْلِفُ
وَمَنْ يَكُونُ مِنْ كُلِّ مَا يَسْتَهْوِيهِ
وَأَزْرَجُهُ حَوْرٌ جَمَانُ كَوْنِ

عَمْرًا وَإِشَارًا بِأَيِّ كُنْتَ تَقْفُلُ
لِأَحْمَرِهِ بِالْأَلْبَانِ قُضْلٌ وَأَجْهَلُ
بِأَصْدَادِهَا عَمَّا قَبْلُ تَبْدُلُ
فَلَا تُدْ عَنْهَا رَاغِبًا سَوْفَ يُقْفَلُ
لَكُنَّ التَّوَرَى مِنْهُ مَقَادُ وَمَوْجَلُ
إِلَى تَقْفُلُ مِنْ أَرْضِهِ جِنُّ يَسْمَلُ
وَلَا تَقْوَلُ إِلَّا بَعْدَهُ أَهْوَلُ
وَمِنْ قَسِطٍ ضَائِقٌ أَوْ مُثْقَلُ
وَمِنْ الْجِبَالِ الرَّمِيَتْ تَرْتَلُ
يُقْفَلُ بِهَا الْفُجَارُ ثُمَّ يُسْمَلُ
وَزَقْوَمُهَا تَقْفُلُ مِنْهُ جِنُّ يُؤْكَلُ
مِنْ خَبْلٍ يَفُتْ فِي الصُّوْنِ وَيَسْمَلُ
إِلَى نَفْرِهِ يَهْوَى دَوْمًا وَيَسْرُ
يَصْبَحُ لَيْلًا وَيَحْدُ الْيَوْمُ
عَبَّيْ التَّوَرَى فِي تَقْوَمَةِ الْفُتْلِ
فَهَبْ لِحَالِهِ مِنْ وَجْهِ مُضْرَبُ
وَمِنْ يَحْدُ يَوْمًا لَا تَقْدِرُ تَقْفُلُ
وَهَبْ الَّذِي يَوْمَ تَقْدِرُ يَحْدُ
وَمِنْ حَالٍ مِنْ يَهْوَى تَقْدِرُ
وَمِنْ كَانِ فِي الْأَعْلَالِ مِنْهُ الْكَبْلُ
تَقْدِرُ عَلَى التَّقْوَى دَوْمًا تَقْدِرُ
وَقَدْ عَيْنٌ لَيْسَ عَنْهُ تَقْدِرُ
وَمِنْ تَقْدِرُ لَا تَقْدِرُ تَقْدِرُ
وَمِنْ سَلَسِيلِ شَرْبِهِ يَسْمَلُ
عَنْ مِثْلِ شَكْلِ الشَّمْسِ مِنْ عَرِّ شَكْلُ

الفصل الخامس

خطبة الجمعة

أولاً : أحكامها . أركانها . آدابها

حكمها

ذهب جمهور أهل العلم إلى وجوب خطبة الجمعة ، واستدلوا عن الوجوب بما ثبت عنه عليه السلام بالأحاديث الصحيحة ثبوتاً مستمراً أنه كان يخطب في كل جمعة ، واستدلوا أيضاً بقوله عليه السلام : « صلوا كما رأيتموه أصلي » وقول الله تعالى : « فاستمعوا لي ذكر الله » (جمعة : ٩) ، وهذا أمر بالسمي بالذكر فيكون واجباً ، لأنه لا يجب السمي لغير التوجب . وفسرُوا الذكر بالخطبة لاشتغالها عليه .

وه بخلاف في ذلك ، لا الحسن البصري وداود الظاهري ومن تبعه . فقد ذهبوا إلى أنها مندوبة فقط ، وإليه ذهب ابن حزم والشوكاني في نيل الأوصال .

واقول ترجيح وتصور هو قول الأئمة الأربعة وجمهور أهل العلم ، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يترك خطبة الجمعة في حادٍ ، وقد قال كما في صحيح البخاري : « صلوا كما رأيتموه أصلي » فصلاة الجمعة مأمور أن تكون على الهيئة التي صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحقاء الراشدون المهديون من بعده ومن تبعهم بحسان .

أركان الخطبة

أخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال : « كانت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خطبتان مجلس بينهما ، يقرأ القرآن ويذكر الناس » .

يُضاف عليهم بالذي يشتهرون فواكيهها تذكرو إلى من يريدوا وأنهارها الألبان تجري وأعلل بها كل أنواع الفواكه كلها يقال لهم يثبت عليكم من الأذى بأسباب نفوى الله والعمل الذي إذا كان هذا والذي قبله أجزاء وحق على من كان بالله مؤمناً وأن يأخذ الإنسان زاداً من النقى وإن أمان الناس خيراً ومرفقاً فبا لك من يوم على كل مفضل تكون به الأصوات كاللهي أو تكن به مئة إسلام ثقيل وحدها به يسألون الناس ماذا عيتمو حساب الذي يتقد غرض مخفف عود بك اللهم من سوء صنعنا همى ففتنى على دينك لى وقت لى من الفردوس قصر مثيلاً لله حمد دائم بدو به يزيد على وزن الثلاثي كلها وإلى حمد الله في الحمد أبدى صلاة وتسلية وأزكى غبة وأزكى صلاة الله لم سلامه

إذا أكلوا نوعاً بآخر يتنوا وسكاتها مهما تنوّه يفضّل تناوئها عند الإرادة يسهل وخمر وماء سليل مفضل سلام عيك بالسلامة فادخلوا بحب إلى جنات عدن توصلوا فحق على تقيي بالذمغ ثمنل يقدمه لا خيراً ولا يمتلئ ولا يساء نفوى ولا يمتلئ ويوما صرياً ألف عام وضور فضيع ومور نقيامة تفضيل كنيسة مبيلاً مبيلاً يسهل ولا غيره من نى دين يفضل ومدة حله من دعا وهو مفضل ومن ليس مقدراً جنات فضل وسلك تبت أخرى وأول رضىت به دينه ورياء تفضل ومن حيرت به التحليل مدى الدهر لا يلقى ولا الحمد يفضل ورجع من وزب جميع وثقل وتلى حمد به قولى وسدى ثمة جميع الغرضين وتفضل على المصطفى أزكى البرية تشر

وعن ابن عمر : أن النبي ﷺ كان يخطب يوم الجمعة ثم يجلس ، ثم يقوم فيخطب مثل ما يفعلون اليوم ، أخرجه البخاري ومسلم .

قال البيهقي رحمه الله في شرح السنة : « حصية الجمعة فريضة ، ونهاية في الخطبتين والقعود بينهما فرض ، إلا أن يعجز بقعد ، وجوز بعضهم الخطبة قاعداً » .

وقال ابن حجر في الفتح : « قال ابن المنذر : الذي حمل عليه جل أهل العلم من علماء الأمصار ذلك ، أي الخطبة قائماً . ونقل غيره عن أبي حنيفة في الخطبة أنها سنة وليس بواجب ، وعن مالك رواية أن القيام واجب ، فإن تركه أساء وصححت صلاته . وجهور أهل العلم أن الغيبة في خطبة يشترط للقادر كالصلاة » .

وذهب الشافعية - كما في المجموع للنووي - إلى أن تقدم خطبتين شرط لصحة صلاة الجمعة . لحديث : « صلوا كما رأيتموني أصلي » . وفي بعض الروايات الجمعة لا خطبتين . وما في الصحيحين من حديث ابن عمر : « كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين يجلس بينهما » .

وينبغي في كل منهما حمد الله تعالى والصلاة على رسول الله ﷺ والوصية بتقوى الله واجتناب معصيته ، ويجب قراءة آية من القرآن في إحدى الخطبتين على ما ذكره الشافعي في الأم ، ويستحب كونها في الأولى . وسواء سمعها المؤمن والمؤمنة في الثانية ، أم ملخصاً .

وذهب الحنابلة - كما في المعنى - إلى أنه يشترط لتسعة خطبتين لأيهما أقيمتا مقام الركعتين ، فكل خطبة مكان ركعة والإخلال بإحدهما كإخلال بإحدى الركعتين ، ويشترط فيهما حمد الله تعالى والصلاة على رسوله ووعظته . وقيل بوجوبها في الثانية ، وأما قراءة آية من القرآن فقليل شرط لكل واحدة من الخطبتين ، وقيل في إحداها . ويستحب الدعاء للمؤمنين والمؤمنات ، أم ملخصاً .

وذهب المالكية - كما في الشرح الصغير والكبير - إلى أن الخطبتين شرط لصحة الجمعة قبلها في المشهور ، فلم ترك إحداها لم تصح الصلاة .

أما الحنفية فقد ذهبوا إلى أن الخطبة شرط لصحة الجمعة ، كما بيناه سابقاً . والسنة أن يخطب الإمام خطبتين حنفتين ، يفتح أولهما بحمد الله وثناء عليه وتشهيد بالصلاة على رسول الله ﷺ ، ثم يحفظ الناس ويذكرهم . ويقرأ سورة ، ثم يجلس جلسة خفيفة ، ثم يقوم فيخطب الخطبة الثانية : بحمد الله تعالى فيها ويشي عليه ويصلي على رسوله ويدعو للمؤمنين والمؤمنات . وقد درج تسلمون على ذلك في جميع الأعصار ثلثة سنة الماثورة عن رسول الله ﷺ .

الجلوس بين الخطبتين

قال بوجوب الجلوس بين الخطبتين الإمام الشافعي وأحمد . وذهب ابن قدامة صاحب كتاب (المعنى) إلى عدم وجوبها وقال : لم يوجبها أكثر أهل العلم ، لأنها جلسة ليس فيها ذكر مشروع فنهى عنه .

أما قدر هذه الجلسة في حكمة : فقيل جلسة الاستراحة بقدر ما يقرب سورة بإخلاص . وقيل في حكمة : لتفصيل بين خطبتين أو لراحة .

الخطبة باللغة العربية الفصحى

شرعت حصية جمعة موعظة وتذكير وارشاد لأمة إلى ما فيه خيرهم في دينهم ودنياهم . ولا بد من أن يكون بلغة يفهمها . وكانت لغة عربية التي سئل بها الخطيب . وتشبهت بلسانهم . وتحدثوا بغير غيوب . وكما كان الخطيب يصيح : « يا أيها الناس » ، وأمرهم كلاماً ، وحكمه أسلوباً ، كان أشد للنفوس سراً ، ويقرب الملاحة . وللأصوات سعة .

قال حروي : « السنة في حصية أن تكون بلغة الفصحى ، بلغة مرئية مبنية من غير تعصب ولا تعقير . وأن لا تكون ألفاظاً مبتذلة متفحفة ، فإنها لا تفي في سموس موقف كمال ، وأن لا تكون وحشية لأنه لا يحصل مقصودها ، بل أن تحار في ألفاظ خزانة مبهمة . وتكرر الكلمات المشتركة (أي التي تحتمل معنى مختلفة) والبعيدة عن الألفاظ وما يكيد عقول الحاضرين » .

وقال ابن قدامة الخليل : « ويستحب أن يكون الخطيب في خطبته مترسلاً
مبيناً مفرباً ، لا يتجمل فيها ولا يقطعها » اهـ .

وقال الشوكاني : « يستحب للخطيب أن يفتح أمر الخطبة ، ويرفع صوته ،
ويجزل كلامه » اهـ .

فهذه أقوال جماهير الأئمة من الشافعية والحنابلة وغيرهم ، فيما ينشأ أن تكون
عليه خطبة الجمعة .

وذهب الإمامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة رضي
الله عنهما إلى أن الخطبة في حالة المعجز عن العربية (أي من الخطيب والسماعين)
تكون بلغة أخرى وهي التي يفهمها السامعون ، بخلاف حالة القدرة عن العربية ،
فإنه يشترط أن تكون الخطبة بها .

ولا شك أن فيما ذهبوا إليه تسيراً على الناس وتوفيقاً حسناً ، ورعاية لستر الشعوب
الإسلامية على اختلاف لغاتها ، وتحقيقاً حكمة الشارع في تشريع خطبة الجمعة
لجماعة المسلمين . ومن أجل هذا ينبغي أن نحمل عبارات النووي وابن قدامة
وأضرابها على ما إذا كانت الجماعة والخطيب من الشعوب التي تعرف العربية .
والخلاصة من ذلك أن الخطبة في بلادنا تكون باللغة الفصحى لا العامية ،
وإن الشعوب غير العربية تكون بلغاتها المعروفة . فليس العيب أن يترجموا بلسان
الخطبة من خطيبهم باللغة العربية وهم لا يفهمونها ، ومن خير لهم لئلا يفهموها
الشارع بخطبة الجمعة أن تكون باللغة التي يفهمونها ويدركون معانيها ، وإن كان
عليهم أن يتعلموا لغة القرآن ليقيموا عليه . وينهلوا منه ، ويستقوا من معينه ، إذ
لا يمكن فهم مراميه والإحاطة بمعانيه إلا بلمعة التي نزل بها ، وهو دستور
الإسلام ، وإليه المرجع في الأحكام .

هدى النبي ﷺ في خطبة الجمعة

لم تكن خطبة النبي ﷺ تقليدية ، لا حياة فيه ولا روح ، ولا رسالة فيها
ولا توجيه ، بل كانت متصلة بالحياة وبالواقع كل الاتصال ، يقول حابر بن

عبد الله رضي الله عنه : « كان النبي ﷺ خطباً حمرت عيناه ، وعلا صوته ،
واشد غضبه حتى كأنه منذر جيش ، يقول صبحكم ومساءكم » رواه مسلم .

قال النووي في شرح هذا الحديث : « يستدل به على أنه يستحب للخطيب أن
يفتح أمر الخطبة ، ويرفع صوته ، ويجزل كلامه ، ويكون مطابقاً للفصل الذي
يتكلم فيه من ترعيب أو ترهيب ، ولعل اشتداد غضبه ﷺ كان عند إنذاره مراراً
عظيماً وتغديره خطباً جسيماً » .

قال العلامة ابن القيم في (زاد المعاد) : « وكان يعلم أصحابه في خطبته في عهد
الإسلام وشرائعه ، وكان يأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهي » .
ويقول مستقلاً للخطباء المتأخرين : « لم طال العهد ، وحنى نور البصيرة .
وصارت الشرائع والأوامر رسوماً تُقام في غير مراعاة حقائقها ومقاصدها .
فأعطوها صورها ، ورهبوها بما زينوها به فحسوا الرسوم والأوضاع شيئاً لا يسمى
الإحلال بها . وأخبروا بالمقاصد التي لا يسمى الإحلال بها ، فرفضوا حسب
بالتصحيح والتفكير وعده البديع ، فنقص بل عده حظ القلوب منها ، وفات المقصود
بها » .

ورغم أن خطبة ﷺ كانت وقيمة دقيقة - حياة والنور والتأثير ، لم تكن صلبة
محملة ، شأن خطبة أجمع اليوم ومحاصرهم الضوئية ، التي يتبارون بها .
ويتناوون فيها المسألة الضيقة المؤقتة ، التي تغيب المناقشة والجدل الكبير . وتثير
إنكار كثير من المستمعين ومتعاضهم ، وتنفذ الخطيب والخواص قدسها وحزمها
ونزاهتها - بل كانت كسائر كلامه قولاً فعلياً ، لا فضول فيه ولا نقص .

يقول حابر بن سمره رضي الله عنه : « كانت صلاة النبي ﷺ قصداً ،
وخطبته قصداً ، يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس » رواه مسلم وأصحابه .
وفي رواية لمسلم : « كان ﷺ لا يطل سعة يوم الجمعة ، إنما من كلمات
يسيرات » .

وكان ﷺ يقول : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه ،
فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة » رواه مسلم عن حمار .

وقال ابن عبد البر : الذي عليه أصحنا أن نصمت فرض واجب سنة النبي ﷺ ، وهي سنة مجتمع عليها معمول بها ، وقد أجمعوا أن من تكلم ولغا لا إعادة عليه للجمعة ولا يقال له صلها صبراً ، هـ .

وأما ما رواه ابن عزيمة من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً : ومن لغا وخطئ رقاب الناس كانت له ظهراً ، فقد قال ابن وهب أحد رواة : معناه اجزأت عنه الصلاة وحرم فضيلة الجمعة .

آداب الجلوس في المسجد يوم الجمعة والنهي عن التخطي إلا الحاجة

١ - عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يقيم أحدكم يوم الجمعة ثم يخالفه إلى مقعده ولكن ليقل افسحوا ، رواه أحمد ومسلم .

٢ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : أنه نهى أن يقدم الرجل من مجلسه ويجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا ، وفي رواية البخاري : قلت للنافع : الجمعة ؟ قال : الجمعة وغيرها ، يفتقر عليه .

٣ - ولأحمد ومسلم : كان من عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه .

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قام أحدكم من مجلسه لم يرجع إليه فهو أحق به ، رواه أحمد ومسلم .

وقال أصحاب الشافعي : إن دنت على وجه السب لا على وجه التوجيب . وإليه ذهب مالك . قال أصحاب الشافعي : ولا يرق في المسجد بين من قام وترك له سجادة فيه ونحوها وبين من لم يترك . قلنا : وإذا يكون أحق به في تلك الصلاة وحدها دون غيرها .

ولعل امتناع ابن عمر عن الجلوس في مجلس من قام له برضاه كان نورعاً منه ، لأنه ربما استحبا منه إنسان فقام له بدون طيبة من نفسه ، ولكن الظاهر أن من فعل ذلك قد أسقط حق نفسه ، ونحوه عدة طيبة نفسه بذلك بخلاف الظاهر .

ويكره الإتيار بمحل التفضية كالغناء من الصف الأول إلى الثاني ، لأن الإتيار وسنوك طريق الآداب لا يبيح أن يكون في العبادات والفضائل ، بل انمعهود أنه في حظوظ النفس وأمر الدنيا ، فمن أثر يحظه في أمر من أمور الآخرة فهو من الزاهدين في الثواب (١) .

٥ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قمتم أحدكم في محله يوم الجمعة فليتحول في غيره ، رواه أحمد والترمذي وصححه .

٦ - وعن حمزة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قمتم أحدكم يوم الجمعة فليتحول إلى مكان صاحبه ويتحول صاحبه مكانه ، رواه الطبراني في الكبير .

والحكمة في الأمر بالتحول أن الحركة تذهب النعاس ، ويحتمل أن الحكمة فيه انتقائه من المكان الذي أصابته فيه الغفلة بنومه ، وإن كان النائم لا حرج عليه ، فقد أمر النبي ﷺ في قصة يومهم عن صلاة الصبح في الوادي بالانتقال منه وقال ﷺ : لقد خضر في سبطان .

٧ - وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال : جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة فخطب ، فقال له رسول الله ﷺ : اجلس فقد أدبنا ، رواه أبو داود والبيهقي .

وفي رواية أحمد : فقد أدبنا وأدبنا .

ومعنى : أدبنا ، يعني أدبنا أنفسنا نتحفظ رقابهم .

ومعنى : أدبنا ، يعني أدبنا أنفسنا ونتحفظ .

قال الشافعي : يكره معنى الرقيب يوم الجمعة قبل دخول الإمام وبعدة .

وروى ابن القاسم عن الإمام مالك قال : يكره التحضي إذا قدم الإمام على المنبر ، ولا يهوى به قبل ذلك . إذا كان بين يديه قرع . (والقرع : السعة بين الاثنين) .

(١) نيل الأوطار ، للشوكاني - الجزء الثالث - ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

وقال ابن وهب مثل ذلك وزاد : « نخط قبل خروج الإمام في ركن » .

مَنْ دَخَلَ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ يَصَلِّي رَكْعَتَيْنِ تَحْتَهُ الْمَسْجِدَ

- أخرج البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله قال : « دخل رجل يوم الجمعة المسجد والنبي ﷺ يخطب ، فقال له : أصليت ؟ قال : لا . قال : فصل ركعتين » .

- وعن جابر قال : « جاء سُلَيْكُ الصَّدُوقِيُّ يوم الجمعة وهو يخطب فجلس . فقال رسول الله ﷺ : إذا جاء أحدكم الجمعة والإمام يخطب فليصل ركعتين خفيفتين ، لم يجلس » .

- وفي رواية : « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوّز فيهما » روى أحمد وسنن أبوداود .

- وفي رواية : « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة فليركع ركنين خفيفتين » مثل غيره .

قال الشوكاني في نيل الأوطار : « وأحد حديث المذكورة أن رسول الله ﷺ أتته نغية المسجد ، حال الخطبة ، وفي ذلك عهد جابر بن عبد الله قال : « أتته نغية المسجد » .

قال النووي في شرح مسلم : « هذه الأحاديث كلها تدل على أن الإمام يخطب في صلاة الجمعة ، وأن من دخل المسجد في ذلك الوقت فليركع ركنين خفيفتين ، ولا يجلس » .

قال القاضي : وقال مالك ومالك بن أنس : « لا يجلس » ، وتأولوا هذه الأحاديث أن سُلَيْكُ بن صفوان كان غريباً فأمره النبي ﷺ بالقيام يوم الجمعة .

(١) الاستدكار ، لابن عبد البر .

ويصنفون عليه ، وهذا تأويل باطل يرده صريح قوله ﷺ : « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركنين وليتجوّز فيهما » وهذا نص صريح لا يتصرف إليه تأويل ، ولا أحد عالمًا بمنه هذا اللفظ صحيحاً فيجاءه . وفي هذه الأحاديث أيضاً - من الغفلة - جور الكلام في الخطبة الحاجة ، وفيها : جواره للحبيب وغيره ، وفيها : الأمر بالمعروف والإرشاد إلى المصالح في كل حال وموضع ، وفيها : أن نغية المسجد لا تنوت بالجلوس في حق جاهل حكمها . وقد أصح أصحابنا فواتها بالجلوس ، وهو محمول على العالم بأنها سنة ، أما الجاهل فيتركها عن قرب ، لهذا الحديث .

كراهية رفع اليدين في الخطبة

أخرج مسلم عن حصين قال : سمعت عمارة بن ربيعة ، وشريح بن مرام ، وصح . ورفع يديه في الدعاء ، فقال عمارة : قبح الله هاتين اليدين القصيرتين . لقد رأيت رسول الله ﷺ وما يزيد عن أن يقول هكذا ، وأشار هشيم بالسبابة (وهشيم أحد رواة الحديث عن حصين) .

وأخرج هذا الحديث أيضاً الإمام غزالي : باب في كراهية رفع الأيدي عن المسجد .

في النووي في شرح مسلم : « هذا فيه أن السنة ألا يرفع اليدين في الخطبة . وهو قول مالك وأصحابه وغيرهم . وحكى القاضي عن بعض السلف وبعض المالكية بآفته لأن النبي ﷺ رفع يديه في خطبة الجمعة حين استسقى . وأجاب الأبوز أن هذا يرفع كان عارضاً » .

قال البيهقي رحمه الله : « وروى عن أنس : « بينا النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة فم أعرابي فقال : يا رسول الله ، هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله ، فرفع يديه ... » الحديث أخرجه البيهقي .

- وروى عن أنس قال : « كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه » .

بلا في الاستسقاء . وأنه يرفع يده حتى يرى بياض إبطيه ، أخرجه البخاري .
 قال رحمه الله : « رفع اليدين في الخطبة غير مشروع ، ول الاستسقاء سنة ،
 فإن استسقى في خطبة الجمعة يرفع يده لقراءة بالتسبيح سورة .
 وهو قول الإمام مالك رحمه الله ، كما ذكره حافظ في الفتح .

ثانياً : نماذج من خطب النبي ﷺ

• يسمع الناس بعد القرآن الكريم بكلام فط أعم نفعاً ، ولا تصدق مضافاً .
 ولا تعمل رزناً ، ولا أهل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً .
 ولا أفسح عن معده ، ولا أتبع عن فحواه ، من كلام سيدنا محمد ﷺ . لأنه
 كلام الذي قلت حروفه ، وكثير معناه ، وجل عن الصفة ، ونزه عن
 التكلف ، ود بطل عن الغوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى .
 وشه ذو شوق إذ يقول :

وإذا حضرت بسمتاي هرة نعرى الثدى وللقلوب بكاء

أول خطبة بمكة بدعوهم إلى الإيمان

جمع قومه وحججه الله . وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الذين آمنوا لا يفتك أحدكم
 بكذب من غيره . والله الذي لا إله إلا هو . يا أيها الذين آمنوا لا يفتك أحدكم
 بكم حصة . وإن الناس كافة . والله أعمون كما تنامون ، وتشتتون كما
 تستيقظون . وتحدثون ما تعلمون . ولتحذرون بالإحسان إحساناً ، وبالنسبة نسبة .
 وببينة بينة . أو حراً ، حيث أخرجه عن الأثير في الكسب .

من أوائل خطبه بالمدينة المنورة

أخرج البيهقي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال :
 كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم ، فحمد الله وأثنى
 عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد ، أيها الناس ، فقدموا أنفسكم ، فاعلموا أن الله

يَصْنَعُونَ^(١) أَحَدَهُمْ ، هَمْ لَيْدَعُنْ عَمَهُ نَبِيٍّ فَارْعَ ، هَمْ لَيَقُولُنَّ لَهُ رَبُّهُ . وَلَيْسَ لَهُ تَرْجَمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجِيهِ دُونَهُ : ثُمَّ يَنْتَ رَسُولِي فَيُلْطَقُ ، وَأَتَيْتُكَ مَالًا . وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ ؟ فَمَا قَدَمْتُ لِنَفْسِكَ ؟ فَيَنْظُرُ بَيْنًا وَخَلَا فَلََا يَرَى شَيْئًا ، هَمْ يَنْظُرُ قَدَامَهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ ، لَمَنْ سَطَّاعٌ أَنْ يَفِيَّ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشَقِّ نَمْرَةٍ فَلَيَقْفَلَ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِيكَلِمَةٍ ضَبِيَّةٍ . فَإِنْ بِهِ تُجْزَى الْحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِينَ مِائَةً ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

هَمْ خَطِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ : هَذَا إِنْ الْحَمْدُ فَهُوَ أَحَدُهُمْ وَأَسْتَعِينَهُ . نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَصِيَّتِ أَعْمَالِنَا . فَمَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . إِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثُ كِتَابَ اللَّهِ ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَّهُ اللَّهُ فِي قَبْرِهِ . وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ ، إِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ . أَجِبُوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ ، أَجِبُوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قَوْلِيكُمْ . وَلَا تَعْمَلُوا كَلَامَ اللَّهِ وَذِكْرَهُ وَلَا تَقْسُرْ عَنْهُ قُلُوبَكُمْ . بِهِ مِنْ كُلِّ مَا يَخْتَارُ وَيُصْطَفَى ، فَلَدَّ سَيِّئُهُ شَرَّ خَيْرِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَخَيْرُهُ مِنْ عَادٍ . وَالصَّخْرُ مِنَ الْحَدِيثِ ، وَمَنْ كَلَّمَ مَا أَرَبَى النَّاسَ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَاتَّقُوا حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَاصْدُقُوا اللَّهَ صَالِحًا مَا تَقُولُونَ . فَوَاهِكُمْ . وَتَعَابُوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ . إِنْ شَاءَ بِعَصَبٍ أَنْ يَنْتَكُثَ عَهْدَهُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

خطبته ﷺ في الجمعة

أَخْرَجَ ابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَمَصِيِّ أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ حُطَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِ جُمُعَةٍ صَلَّاهَا بِالْمَدِينَةِ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَعِذُّ بِهِ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَلَا أَكْفُرُهُ ، وَأَعَادِي مَنْ يَكْفُرُهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ ، عَلَى قُرْآنٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَفَلْيُذْ مِنْ الْجَنِّمِ .

(١) الصَّخْرُ : أَنْ يَنْشَقَّ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ صَوْتٍ شَدِيدٍ يَسْمَعُهُ ، هَمْ اسْتَعْمَلَ فِي الْمَوْتِ كَثِيرًا .

وَضَلَالَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الزَّمَانِ ، وَدُنُوءٍ مِنَ السَّاعَةِ ، وَغَيْبٍ مِنَ الْأَجَلِ . مَنْ بَصَعَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ رَشَدَ ، وَمَنْ بَعْصَهُمْ فَقَدْ غَوَى وَتَرَدَّدَ وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَأَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ مَا أَوْصَى بِهِ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَةَ أَنْ يَحْضُرَهُ عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ مِنْ نَفْسٍ . وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ تَصَبُّحًا وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا ، وَأَلَدُ تَقْوَى اللَّهِ مِنْ صِلَى بِهِ عَلَى وَجْهِ وَخَيْرٍ وَخَيْرَةٍ مِنْ رَبِّهِ عَوْنٌ صَدَقَ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ ، وَمَنْ يَصْلَحِ الَّذِي بِهِ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، لَا يَهْوِي سَلَكُ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَيْهِ . يَكُنْ لَهُ ذِكْرٌ فِي عَجَلِ أَمْرِهِ وَذَخْرٌ لَهَا بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَفْتَنُ الْمَرْءُ إِلَى مَا قَدْ ، وَمَا كَانَ مِنْ سِرِّ ذَلِكَ يَدْرُسُ أَنْ يَبْنِيَهُ وَيَسِيءُ أَمْدًا بَعِيدًا . وَتَحْذَرُكُمْ اللَّهُ عَمَّا وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعَبِيدِ . وَالَّذِي صَدَّقَ قَوْلُهُ وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ لَا خُفْيَ لَكَ ذَلِكَ ، فَبِهِ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ : مَا يَسْأَلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي عَجَلِ أَمْرِكُمْ وَأَتَقُوا فِي سِرِّكُمْ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ، وَمَنْ يَتَزَلَّزَلْ بِهِ فَقَدْ نَازَلَ حُورٌ عَظِيمًا ، وَإِنْ تَقْوَى اللَّهَ تَوْفَى مَغْنَمًا ، وَتَوْفَى عَقُوبَةً ، وَتَوْفَى سَجْدَةً . وَإِنْ تَقْوَى اللَّهَ تَبَيَّنَ الْوُجُوهُ ، وَتَرْضَى الرُّبُوبُ ، وَتَرْتَبِعُ الدَّرَجَاتُ ، حَسْبُ عِصْمَةٍ وَلَا تَرْضَوْنَ فِي جَنَّتِ اللَّهِ ، قَدْ عَلَّمَكُمُ اللَّهُ كِتَابَهُ ، وَبَهَّجَ نَفْسَكُمْ بِسَيِّئِهِ . يَخْشَى النَّاسَ مَخَافًا وَيَخْشَى اللَّهَ عِظَمًا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ كَمَا أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ ، وَاعْبُدُوا اللَّهَ . وَاجْعِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، هُوَ أَحْسَنُكُمْ وَسَمَّكُمْ أَسْمَيْنَ ، لِيُنْهَلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتِهِ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْتِهِ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، فَكُفُّوا ذِكْرَ اللَّهِ وَاعْبُدُوا مَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَصْلَحْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ . وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ بِهِ ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

فَرَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ كَثِيرٍ فِي الْبَدَاةِ : مَكْنَا أَوْرَدَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ وَفِي السَّابِقِ إِنْ سَأَلَ .

خطبة عظيمة له ﷺ في استقبال شهر رمضان

أَخْرَجَ ابْنُ خَزِيمَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي

آخر يوم من شعبان ، قال : يا أيها الناس ، قد أطلقكم شهر عصم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، ولهام ليله تطوعاً ، من تقرب فيه بمحسنة من الخير كان كمن أذى فريضة فيما سواه ، ومن أذى فريضة فيه كان كمن أذى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزداد في رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبه وعق ربقة من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء . قالوا : يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفتقر الصائم ، فقال رسول الله ﷺ : يعطى الله هذا الثواب من فطر صائماً على ثمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن . وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال ، خصلتين ترضون بهما ربكم ، وخصلتين لا غنى بكم عنهما : فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه ، وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة ، وتعدون به من النار ، ومن سقى صائماً سده الله من حوضي شربة لا يصبأ حتى يدخل الجنة .

خطبته في حجة الوداع

أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله في صفة الحج وفيه : فأجر رسول الله ﷺ حتى أتى عرفه ، فوجد القبّة قد ضربت له بنجرة فنزل بها ، حتى إذا راغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له ، فأتى بعض الوادي فخطب الناس وقال : يا أيها الناس ، دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، وفي شهركم هذا ، وفي بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء أحذية موضوعه ، وإن أول دم أضعه من دماء دم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعاً في بني سعد قتلته هذيل . ورب الجاهلية موضوع ، وأول ما أضعه من ربانا ربنا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله ، واتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عيبهن ألا يوضن

وشكمه أحداً لكم هوته ، وإن فعلت ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح . وهذا عليكم رافهن وكسوهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما كان نظير بعده إن اعتصم به : كتاب الله ، وأنتم تسألون عن فما أنتم قائلون ؟ قالوا : شهد أنك قد بلغت ونصحت وأدبيت ، فقال بأصبعه السبابة يرفع بها السماء ويهلك بها الناس : سبوا شهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات .

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب من منى يوم نحر فقال : يا أيها الناس ، أي يوم هذا ؟ قتل : يوم حرم . قال : في بلد هذا ؟ قتلوا : بلد حرام ، قال : فأي شهر هذا ؟ قتلوا : شهر حرام ، قال : في ذمائمكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، وفي شهركم هذا . قال : فأعادها مراراً ، ثم رفع رأسه فقال : اللهم من بلغت اللهم فاشهد - قال ابن عباس : فوالذي نفسي بيده إنه يومئذ لم يبق شيء من الدنيا إلا قد شهد بقائه - لا ترجعوا بعدي كفراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

وأخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب من منى في حجة الوداع فقال : قد يكس الشيطان أن يفتن بأرضكم ، ولكنه رضي أن يجمع فيه سبى ذلك مما تحذرون من أفعالكم ، فاحذروا أيها الناس . وقد تركت فيكم ما كان نظير بعده إن اعتصم به فمن تصبوا أبداً : كتاب الله . ومنته في منى ، كل مسلم أخ المسلم . المسلمون إخوة ولا يهل لأمر من من أخيه . لا ما أعطاه من حبيب نفسي منه ، ولا تصموا ولا ترجعوا من بعدي كفراً يضرب بعضكم رقاب بعض .

وأخرج أحمد في مسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يومئذ عن خذعة واضع رجله في الغزاة يتصون لينسب الناس ، فقال بأعلى صوته : ألا تسمعون ؟ فقال رجل من ضوائف الناس : يا رسول الله ، ماذا نفعل إليك ؟ فقال : اعبدوا ربكم ، وصلوا حمسكم . وصوموا شهركم ، وصموا ذمائمكم ، تدخلوا الجنة ربكم . وأخرج الترمذي وقال : حسن صحيح

وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال : « يا أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت ؟ قلوا : بلى يا رسول الله ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب » .

ثالثاً : نماذج من خطب الصحابة رضي الله عنهم

١ - أبو بكر الصديق

خطبته رضي الله عنه لسماء ولبي الخليفة

أخرج ابن سعد والهاملي وغيرهما عن عروة قال : لما روي أبو بكر خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه لم قال : « أما بعد ، أيها الناس قد وُئيت أُمركم ونسيت أخباركم ، ولكن نزل القرآن : ومن أنبى السنين . فعمماً أن أكبر لكم تكبيراً شقي ، وإن أحق الحق المنجور ، وإن أقرأكم عندي صعب حتى أجد منه حق ، وإن أضعمكم عندي تقوى حتى آخذ له الحق . أيها الناس : إني قد فُتيت ونسيت الخندق . فإن أحسنت فأعينوني ، وإن زغت فقوموني ، أقول بغير هذا واستغفر الله لي ولكم » .

خطبة له رضي الله عنه في التقوى والعمل الصالح

أخرج أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عكيم قال : خطب أبو بكر رضي الله عنه فقال : « أما بعد ، فإني أوصيكم بتقوى الله ، وأن تتنوا عيه بما هو به أهل ، وأن تخلطوا الرغبة بالرغبة ، وتجمعوا الإلحاف^(١) بالمسألة ، فإن الله تعالى يرضى عن زكراً وعى أهل بيته فقال : ﴿ إنيهم كانوا يسارعون في الخيرات ويذبحونها رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ . ثم أعلموا عباد الله أن الله تعالى قد ارشى ببقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواليقكم ، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير

(١) الإلحاح .

٢ - عمر بن الخطاب

خطبة لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب حين ولي الخلافة

أخرج البيهقي عن الشعبي قال : لما ولي عمر بن الخطاب سعد بن زيد قال : (ما كان الله يري أن أرى نفسي أهلاً فليس لي بكر ، فرب مودة ، محمد الله وثني عليه ، ثم قال : ارفعوا نيران تفرقوا به ، وعملوا به تكبير من فيه ، وزجروا أنفسكم في أن تؤذوا . وتزبنوا للعرض لأكثر يوم تعرض عن الله لا تخفى منكم حافية ، إنه لم يبلغ حق ذي حق - بصع في معصية الله - ألا ترى تركت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم ، - استعيت غفلة - وولت افتقرت أكث بالمعروف .)

خطبة له رضي الله عنه في نصيح الرعية وبيان حقه عليه

ذكر من جرير رضي الله عنه في تاريخه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خصب فقد بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصل على النبي ﷺ . : أيها - من - إن بعض الضعيف فقر ، وإن بعض اليأس غنى ، وإنكم تعلمون ما لا تعلمون ، وتؤمنون ما لا تدركون . وأنتم مؤجلون في دار غرور ، كذب على عهد رسول الله ﷺ يؤخسون بالوحي . فمن أمر شيئاً أخذ بسريره ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلايته ، وأصهروا - أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسري . ومن أظهر لنا شيئاً ورع أن سريره حسنة - نصدق ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنة ، وعلموا أن بعض الشئ شعبة من النفاق ، فأنفقوا - غيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . ()

أيها الناس أطيبوا مشاكنكم ، وأصلحوا أموركم ، واتقوا الله ربكم ، ولا تسوا بسوءكم القضي^(١) فإنه إن لم يثيب فإنه يصيب .

(١) القضي : جمع قضية وهي ثياب مصرية رقيقة بيضاء .

الباقى ، وهذا كتاب الله فيكم لا تفتى عجائبه ، ولا يظفأ نوره ، صدقوا قوله واتصموا كتابه ، واستصبروا فيه ليوم الحسنة . فإنما خلقكم للعبادة ، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ، ثم اعلما عباد الله أنكم تفتنون وتروجون في أجل قد غيب عنكم علمه ، ومن استطعم أن تنقضى الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيع ذلك إلا بالله ، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضى آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم ، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ، وسوا أنفسهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثاله ، (الوفا الوفا) . النجاة النجاة ، إن وراءكم طالباً حثيثاً ، أمره سريع ، وأخرجه أيضاً من ألى شية وخاكم واليهفى مثله .

وعند أحمد والنسائي وابن حبان وأحمد عن أوس قال : خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال : قام فينا رسول الله ﷺ مقامى هذا عام الأول . فقال : : سلوا الله العفو والعافية فإنه لا يغط أحد قط بعد اليقين أفض من العافية ، وعليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة ، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار . لا تحسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تقاضوا ، ولا تذايروا . وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله .

خطبة له في الترغيب على الجهاد في سبيل الله

أخرج ابن عسك عن النعمان بن محمد حديثاً ، وذكر فيه : : وقام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه وصل على رسول الله ﷺ وقال : إن لكل أمر جوامع ، فمن بلغه فهو حسبه ، ومن عمل لله عروجه كفاه الله . عليكم بأخذ الصدق ، فإن الصدق أبلغ ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا عمل من لا نية له ، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخلص به ، هي النجاة التي دل الله عليها ونجى بها من أخرى ، وأخفى بها الكرامة في الدن والآخرة . وأخرجه بن جرير نظري عن قتاسم بن محمد مثله .

(١) الوفا الوفا : أى المبادرة والإسراع بالنجاة .

أيها الناس ، إني لوددت أن أعمو كفافاً لا لي ولا علي ، إني لأرجو أن تمررت فيكم سيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وألا يفي أحد من المسلمين - وإن كان في بيته - إلا أنه حقه ونصيبه من مال الله ، ولا تمحل إليه نفسه ولم ينصب إليه يوماً ، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ، وتقلب في رقتي غير من كثير في عني ، واقتل حنف من الخوف يصيب الحر والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه ، وإذا أراد أحدكم بغيراً فليغمد إلى الضويل العظيم فليضربه بعصاه ، فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره .

خطب له متفرقة رضى الله عنه

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول في خطبته : « أفلح منكم من حَفِظَ من الهوى والغضب والطمع ، ووَفَّقَ إلى الصدق في الحديث ، فإنه يجره إلى الخير ، من يكذب بهجر ، ومن يفسد بهلك ، وإياكم والفجور ، ما فجور من خلق من التراب وإلى التراب يعود ؟ اليوم حي وغدا ميت ، اعملوا عمل يوم يوم ، واجتنبوا دعوة المظلوم ، وعدوا أنفسكم من الموت » .

وأخرج البخاري في الأدب وابن خزيمة عن قبيصة قال : سمعت عمر رضى الله عنه وهو يقول على المنبر : « من لا يرحم لا يرحم ، ومن لا يغفر لا يغفر له ، ومن لا يتوب لا يتوب عليه ، ومن لا يتق لا يوق » .

وأخرج أحمد عن علقمة بن وقاص الليثي أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو يخطب الناس وهو يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما العمل بالنية ، وإنما لأمرى ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله وإلى رسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وأخرج ابن سعد عن سليمان بن يسار قال : خطب عمر بن الخطاب الناس في زمان الرمادة ، فقال : « أيها الناس ، اتقوا الله في أنفسكم ، وفيما غاب عن

الناس من أمركم ، فقد بثليث بكم واثليثم لي ، فما أدرى السخطة على دينكم أو عليكم دواي ، أو قد عشتي وعشتكم ، فهللوا فلندع الله ، يصلح ديني ، وأن يرحمنا ، وأن يرفع عنا أهل ، قال : فرأى عمر يومئذ رافعاً يديه يدعوا الله ، ودعا الناس ويكفي ، ويكفي الناس ملياً ، ثم نزل .

٣ - عثمان بن عفان

خطبة لأمر المؤمنين عثمان بن عفان لما بويع بالخلافة

أخرج ابن سعد عن إبراهيم بن عبد الرحمن الخزومي أن عثمان رضى الله عنه لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، إن أول مركب صعد ، وإن بعد اليوم أماناً ، وإن أعش تأتكم الخيصة عن وجهي ، وما كنا خطباء ، وسبحنا الله » .

خطبة له رضى الله عنه في الزهد والعمل للآخرة

أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه من طريق سيف بن بدر بن عثم - عن عنه ، قال : لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشد كآبة ، فأق منبر رسول الله ﷺ وقال : « إنكم في دار قلعة » ، وفي بقية أعمار ، فادروا آجالكم خير ما تقدرون عليه ، فقد أنتم ، صحتهم أو مسيهم ، ألا وإن الدنيا طوبت عن الغرور . اعتصموا بمن مضى ، ثم جدوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يغفل عنكم . يروى الدنيا وإخوانها الذين ثاروها وعمروها ومثعوا بها طويلاً ؟ ألم تغفلهم ؟ روى بالدنيا حيث روى الله بها ، وسلبوا الآخرة ، فإن الله قد ضرب لها مثلاً . روى هو خير ، فقال عز وجل : ﴿ واضرب لهم مثلاً الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ﴾

(١) أي غول وارتحال .

السَّمَاءُ فَالْخَلْقُ بِهِ نَافِثُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا . الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿ (الكهف : ١٥ ، ١٦) .

خطبة في التحذير من اللعب بالنرد

وأخرج البيهقي عن زيد بن الصلت أنه سمع عثمان وهو على المنبر يقول : « يا أيها الناس ، إياكم والميسر - يريد النرد - فإنها قد ذُكرت في أنها في بيوت ناس منكم ، فمن كان في بيته فليحرقها أو يكسرها . »
وقال عثمان مرة أخرى وهو على المنبر : « يا أيها الناس ، إني قد كلمتكم في هذا النرد ، ولم أركم قد أخرجتموها ، فلقد هممتُ أن آمر بحرق الخطب ، ثم أرسل إلى بيوت الذين هن في بيوتهم فأحرقها عليهم . »

آخر خطبة له رضى الله عنه

أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه من طريق سيف بن سر عن عثمان عن عمه قال : آخر خطبة خطبها عثمان في جماعة : « إن الله عز وجل راعى أعضائكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتتركوا إليها ، إن الدب تغشى والأسرة تبقى ، فلا تُبطر لكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية ، فأتروا ما ينهى عن ما ينهى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله . اتقوا الله جل وعز ، فإن تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير ، والزمو جماعةكم ، لا تصيروا أحزاباً . واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴿ آل عمران : ١٠٣) .

(١) النرد : لعبة الطاولة .

٤ - علي بن أبي طالب

خطبته في فضل شهر رمضان

أخرج الحسين بن يحيى القنطاري ، والبيهقي عن الشعبي قال : كان علي رضى الله عنه إذا حضر رمضان يقول : « هذا الشهر المبارك الذي فرض الله صيامه ولم يفرض قيامه ، لينحذر رجل أن يقول أصوم إذا صام فلان ، وأفطر إذا أفطر فلان ، ألا إن الصيام ليس من الطعام والشراب ولكن من الكذب والغل والكفر ، ألا لا تقدموا الشهر ، إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفصروا ، فإن غمَّ عليكم فأنموا العيذة ... » .

خطبة له رضى الله عنه في القبر وأهواله

أخرج الصدوق في المائتين وابن عساكر عن علي أنه نصب فحمد الله وأثنى عليه . وذكر موت فقال : « عباد الله ، والله الموت ليس منه موت ، إن نعمتم أخذكم ، وإن فررتم منه أدر كركم ، فالنجاة النجاة ، والوفا الوفا ، وراءكم صلب حثيث : القبر ، فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته ، ألا وإن القبر حفرة من حفرة النار ، أو روضة من رياض الجنة ، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات ، فيقول : أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الدود ، أنا بيت الوحشة ، ألا وإن وراء ذلك ما هو أشد منه ، نار حرها شديد ، وقعرها بعيد ، حطبها حديد ، وحارها مالك ، ليس لله فيها رحمة ، ألا وإن وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، جعلنا الله وإياكم من المؤمنين ، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم . »

وذكر ابن كثير في البداية هذه الخطبة عن الأصمعي بن نباتة قال : صعد علي رضى الله عنه ذات يوم المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الموت - فذكر نحوه وزاد بعد قوله (أنا بيت الوحشة) : « ألا وإن وراء ذلك يوماً يشيب فيه

الصغير ، ويسكر فيه الكبير ﴿ وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ (الحج : ٢) ثم بكى وبكى المسلمون حوله .

٥ - عبد الله بن الزبير

خطبته رضى الله عنهما في موسم الحج

أخرج الطبراني في الكبير عن محمد بن عبد الله الثقفي قال : شهدت حصة ابن الزبير بالموسم ، قال : ما شعرنا حتى خرج علينا قبل الشروية يوم - وهو محرم - رجل كهبة كهل جبين ، فأقبل فقالوا : هذا أمير المؤمنين ، فزقوا سرور عليه ثوبان أبيضان ، ثم سلموا عليهم فردوا عليه السلام ، ثم لبى بأحسن نسبة سمعها قط ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فبكم جئتم من أدنى شئ وفرداً على الله تعالى ، فحذوا على الله أن يكرم وقده ، فعلى جاء يطلب ما عند الله فإن طالب الله لا يخطئ ، فصداقوا قلوبكم بفعل ، فإن ملاك القول العمل ، فآية نية القلوب ، الله الله في قلوبكم هذه ، فإنها أيام يُعَدُّ فيها الذنوب ، جئتم من أدنى شئ في غير تجارة ولا طلب من ولا دنيا ترجون منها ، ثم لبى وثلى . . . ونكلم بكلام كبير ، ثم قال : أما بعد . فإن الله عز وجل قال في كتابه : ﴿ العجوة أشهى مفضلوا ﴾ في قال : وهي ثلاث : شول وهو القعدة وعشر من ذي الحجة ، ﴿ فضل لرضي فيهن العجوة فلا زفت ﴾ لا جرة ، ﴿ ولا فسوق ﴾ لا سب ، ﴿ ولا جدال ﴾ لا براء ، ﴿ وما تفلحوا من غير بقلعة الله وتردوا وإن خير لربان الطوى ﴾ . وقال عز وجل : ﴿ ليس عليكم جناح أن تنكروا أفلاك من ربكم ﴾ فأحسن حد التجارة ثم قال : ﴿ فإذا أفصمتم من عرفات ﴾ وهو التوقف الذي يقفون عنده حتى تعيب الشمس ثم يهيمون منه ﴿ فاذا ذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ قال : وهي خيال التي يقفون - بمزدلفة - ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ قال : ليس هذا بعداً ، هذا لأهل البلد كانوا يرضون من حنم ويبيعون من عرفات ، فأبى الله هذا فأنزل : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ إلى مناسككم ، قال : وكانوا إذا فرغوا من حجهم تفاخروا بالآباء ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ فاذكروا الله كذكركم

خطبة له رضى الله عنه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن يحيى بن يعمر أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه خطب الناس ، لحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس ، إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ، ولم ينههم الربانيون والأحبار ، أنزل الله بهم العقوبات ، ألا فمروا بالمعروف وانها عن المنكر قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم ، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ، ولا يقرب أجلاً ، إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان في أهل أو مال أو نفس ، فإذا أصاب أحدكم النقصان في أهل أو مال أو نفس ورأى لغيره غيره (أى غير النقصان) فلا يكون ذلك له فتنة ، فإن المرء المسلم ما لم يقش دناءة ، يظهر تحشعاً لها إذا ذكرت ، ويعزى به لنام الناس كالناسر^(١) والقالج^(٢) ، الذي ينتظر أول فوزة من قداحه توجب له المقتم وتدفع عنه المخرم ، فكذلك المرء المسلم البرى من الخيانة إنما ينتظر إحدى الحسنين إذا ما دعا الله : فما عند الله هو خير له ، وإما أن يرزقه الله مالاً ، فإذا هو ذو أهل ومال . الحرت حرقان : المال والبنون حرت الدنيا ، والعمل الصالح حرت الآخرة ، وقد يجتمعهما الله لأكوام .

قال سفيان بن عيينة : ومن يحسن أن يتكلم بهذا الكلام إلا علي بن أبي طالب .

(١) الناسر : القمار .

(٢) القالج : الغالب في القمار .

آباءكم أو أحد ذكرنا فمن الناس من يقول ربنا آتينا في الدنيا ومآلنا في الآخرة من خلقي . ومنهم من يقول ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ولها عذاب النار . قال : يعملون في دنياهم لآخرتهم ودينهم ، قال : ثم قرأ حتى بلغ ﴿ واذكروا الله في أيام مفترقاتكم ﴾ قال : وهي أيام التشريق ، فذكر الله فيهن بتسبيح وتحميد ومهلل وتكبير ومجيد ، قال : ثم ذكر مهمل الناس ، قال : مهمل أهل المدينة من ذى الخليفة ، ومهمل أهل العراق من العقيق ، ومهمل أهل نجد وأهل الطائف من قرني ، وأهل اليمن من يثلمة . قال : ثم دعا على كفرة أهل الكتاب فقال : اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يمجدون بآياتك ، ويكذبون رسلك ، ويصلون عن سبيلك ، اللهم عذبهم ، واجعل قلوبهم قلوب نساء فواجر - في دعاء كثير ، ثم قال : إن ههنا رجالاً قد أعصى الله قلوبهم كما أعصى أبصارهم ، يفتنون بالمتعة بأن يقدم الرجل من خراسان مهلاً بالحج ، حتى إذا قدم قالوا : أجل من حجك بعمره ، ثم أهل بالحج من ههنا ، والله ما كانت المتعة إلا محصر . ثم لبى ولبى الناس ، فما رأيته يوماً قط كان أكثر باكية من يومئذ .

٦ - عبد الله بن مسعود

خطبة جامعة له رضى الله عنه

أخرج أبو نعيم في الحلية^(١) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « إن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الجمل ملة إبراهيم ، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ ، وخير الهدى هدى الأنبياء ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وخير القصص القرآن ، وخير الأمور عواقبها ، وشرف الأمور محدثاتها ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، ونفس تنجها خير من إمارة لا تحصيها ، وشرف العذيلة حين يحضر الموت ، وشرف الندامة ندامة القيامة ،

(١) حلية الأولياء (١ / ١٣٨) .

وشرف الضلالة الضلالة بعد الهدى ، وخير الفنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى . وخير ما ألقي في القلب اليقين ، والزيب من الكفر ، وشرف العمى عمى القلب . والحمر جماع كل إثم ، والنساء جبال الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون . والنوح من عمل الجاهلية ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا ذئباً ولا يذكر الله إلا هجراً ، وأعظم الخطايا الكذب ، وسباب مؤمن فسوق ، وقناله كفر . وخمرة ماله كحرمة دمه ، ومن يهف يهف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يآجره الله ، ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يصبر على الرزية يعقبه الله ، وشرف المكسب كسب الربا ، وشرف المأكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره والشقى من شقى في بطن أمه ، وإنما يكفى أحدكم ما قنعت به نفسه ، وإنما يصير إلى أربعة ذرع والأمر إلى آخره ، وملاك العمل عواقبه ، وشرف الروايا روايا الكذب ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، ومن يعرف البلاء يصبر عليه ، ومن لا يعرفه ينكر . ومن يستكر يضعه ، ومن يتولى الدنيا تعجز عنه ، ومن يضع الشيطان يعصى الله ، ومن يعصى الله يعذبه . اهـ .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً .

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئ الأخلاق لا يصرف عني سيئها إلا أنت . لبيك وسعديك وخير كله في يديك ، وأشر ليس إليك ، والمهدي من هديت ، أنا بك وإليك ، لا متج ولا منحاست إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك .

عبد الحميد كشك